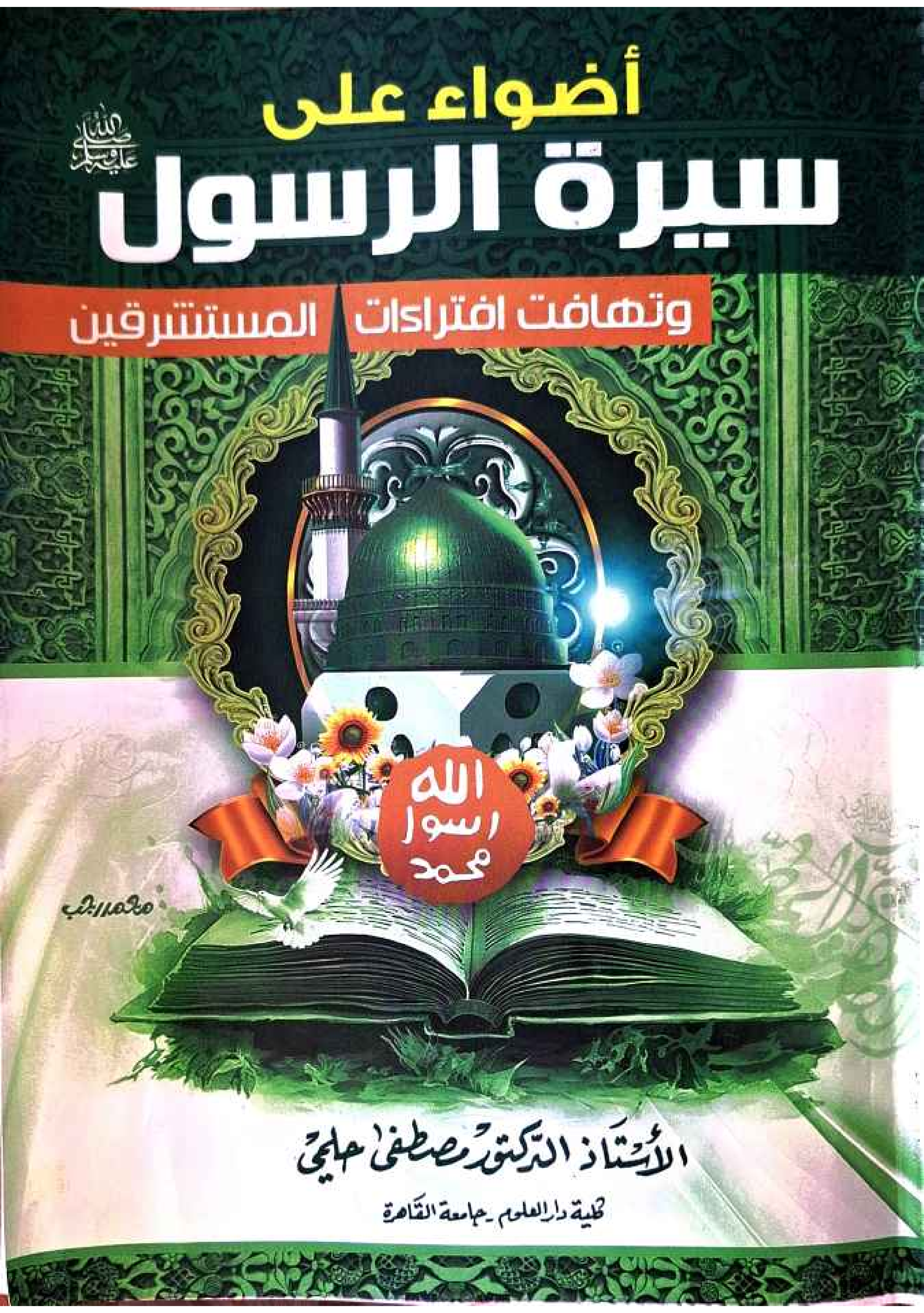

أضواء على
سيرة الرسول
صلى الله عليه وسلم
وتهافت افتراءات المستشرقين
الله
رسول
محمد
الأستاذ الدكتور مصطفى حلمي
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه

أضواء على سيرة الرسول ﷺ

(وتهافت افتراءات المستشرقين)

الأستاذ الدكتور مصطفى حلمي

كلية دار العلوم - جامعة القاهرة



الطبعة الأولى
٢٠٢٤م

رقم الإيداع القانوني
٢٢٩٣/ ٢٠٢٤م

الدار العربية للكتاب

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﷺ.

أما بعد..

فإن أفضل ما نستهلّ به هذه المقدمة هو قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾[الأنبياء: ١٠٧]، وقد أتبعها القاضي عياض بحديث الرسول ﷺ: «**أنا أمان لأصحابي**» [أخرجه مسلم]، وشرحه: قيل: من البدع. وقيل: من الاختلاف والفتن. وقال بعضهم: الرسول ﷺ هو الأمان الأعظم ما عاش، وما دامت سنته باقية فهو باق، فإذا أُميتت سنته فانتظروا البلاء والفتن(١).

فالأمر إذن يتصل بالضرورة الماسة لاحتفاظ الأمة الإسلامية بدينها والعضّ بالنواجذ على كتاب ربها عز وجل وسنة نبيها محمد ﷺ؛ حتى تنجو مما ينتظرها من بلاء وفتن، ولم يخف على مؤتمرات الاستشراق والتبشير وأجهزة المخابرات ومراكز البحوث والدراسات في الغرب الصلة الوثيقة بين الإسلام بمصدريه -كتاباً وسنة- والحضارة الزاهرة التي أقامها المسلمون الأوائل، وظلت قروناً تضيء العالم بنورها مستمسكة، فضلاً عن انتصار الأمة الإسلامية في الحروب الصليبية والتتار عندما كانت مستمسكة بدينها(٢).

(١) القاضي عياض اليحصبي (الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ) ص ٤٨/ ٤٩ ط، مكتبة دار التراث بالقاهرة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، وهو عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته (ت ٥٤٤هـ).

(٢) يقول ابن القيم في أحد فصول كتابه (ومن ها هنا نعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول ﷺ وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به وطاعته فيما أمر به، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا علي أيدي الرسل).. ثم يخص الرسول ﷺ فيقول: (وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدى النبي ﷺ فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه) (ص٢٨ من كتابه زاد المعاد في هدى خير العباد) تحقيق د/ خليل شيحا ط٢١ - دار المعرفة- بيروت ١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٩م. وقام باختصاره الإمام محمد بن عبد الوهاب بعنوان (مختصر زاد المعاد) ط دار الريان للتراث بالقاهرة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م. وقال في المقدمة (وإذا كانت السعادة معلقة بهديه ﷺ فيجب على كل من أحب نجاة نفسه أن يعرف هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به من خطة الجاهلية، ص٩.. وكذلك اختصره الشيخ محمد أبو زيد ونشره ضمن كتاب (الإسلام قبل المذاهب- عقيدة وشريعة) تصحيح زكريا علي يوسف مكتبة المتنبي- بعابدين.

لذلك كان الهدف الأول - بعد الاحتلال العسكري لبلادنا- إبعاد الأجيال الناشئة عن دينها، وكانت خطة المستعمر اتخاذ التعليم كوسيلة لبلوغ الهدف من أقصر طريق(١).

والشاهد على ذلك أن من يقوم بدراسة نظمنا التعليمية يرى أن هناك أجيالاً كانت ضحايا (دنلوب)(٢) أثناء الاستعمار البريطاني لمصر الذين تمّ تجهيلهم بتراثهم وتاريخهم الإسلامي عامة، وهجر كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ خاصة، وكان همّه الأكبر إبعادهم عن دينهم.. ولم يكن يدري أنه خطّط أيضاً للغرب ليسلكوا مسلكه في بلاد العرب والمسلمين؛ إذ لا يفوتنا ما فعلته الولايات المتحدة في عصرنا الحاضر أثناء حروبها الصليبية للعراق وأفغانستان الجديدة، وقرأنا عن واحدة من خبراء التعليم الأمريكيين قد تم إدماجهم مباشرة في وزارة التعليم في مصر(٣)، كما فرضت الولايات المتحدة على الدول العربية تقليص المناهج الدينية وحذف آيات الجهاد!

(١) لم يأت تكرار عرض قضية التعليم -مع أهميتها القصوى- بهذه المقدمة أيضًا قصداً، ولكن يعكس نفسيًّا معاناتي للخشية على مصير الأجيال القادمة إن بقي الحال كما هو عليه -والأسوأ تدخل دولاً أجنبية لتقليص المناهج الدينية بالرغم من ضآلتها!! هذا، وقد سبقني الدكتور سعيد إسماعيل علي - استاذ التربية بجامعة عين شمس بكتابه الشامل (محنة التعليم في مصر، ويقول الأستاذ أنور الجندي (كان نفوذ الإنجليز غالبًا مسيطرًا، عن طريق مستشارهم «دنلوب»، فلم يكن هدف الاحتلال إلا تخريج موظفين يعملون تحت إرادته ومشيئته؛ لذلك حرص على تغليب اللغة الإنجليزية، ودسّ الكتب التي تحمل السموم والانتقاص للإسلام والعربية، وجرى نظار المعارف في ظل الاحتلال على الخطة المرسومة لم يتجاوزوها، واختير سعد زغلول وزيراً فاعلن أنه إنما هو الذي يوجه العمل، من دون المستشار البريطاني، ولكن اعماله في الحقيقة كانت تنفيذاً لخطة «دنلوب» لم يتجاوزها، وقد شهد عبد العزيز جاويش ذلك عن كثب ولمسه بنفسه، وكانت حملته على التعليم هي أولى حملاته بعد أن ترك وزارة المعارف ، أنور الجندي (عبد العزيز جاويش، من رواد التربية والصحافة والاجتماع) كتاب اعلام العرب) ص ١٦٤ اغسطس سنة ١٩٦٥م.

(٢) كان (دنلوب) قسيسًا وخلع رداء الكهنوت وأصبح مسئولاً عن التعليم بمصر، وما زال أثره التخريبي ممتداً حتى اليوم!!

(٣) د/ ريموند بيكر (إسلام بلا خوف - مصر والإسلاميون الجدد) ص ٥٠ ترجمة. د/منار الشوربجي - المركز العلمي للدراسات السياسية - الأردن ط٢ سنة ٢٠٠٩م، ومما يرجّح أن معاهدة السلام المصرية مع الكيان الصهيوني كانت وراء تلك المراجعة للمناهج!!

أضف إلى ذلك ما قامت به المدارس الأجنبية من تقليص الاهتمام بالتاريخ الإسلامي بما في ذلك العقيدة والشريعة، فأسهمت في إضعاف الإحساس بالهوية الأصلية للأمة!

بل ما زالت تداعياتها مستمرة؛ مما يثير الانزعاج لما يحدث لشباب المسلمين، وهو ما دفع الأستاذ فاروق جويدة بتعبيره عن ذلك بقوله: (لقد حدث اختراق في المدارس والمناهج واللغات من خلال التعليم الأجنبي الذي حرم الشباب من تاريخ وطنه ولغته وثوابته (أي العقيدة).. . إن الأجيال الجديدة تواجه أسوأ أنواع الاحتلال وهو السيطرة على عقل شباب الأمة وهم مستقبلها وأهم مصادر قوتها.. إنها مؤامرة ضخمة لتغيير هوية الشباب عقيدة ولغة ودينًا وأخلاقًا وسلوكًا)(١)، ولن ينقذ أجيالنا الجديدة من غزوات الاحتلال الأجنبي الذي غيّر أساليبه من استعمار الأوطان إلى تدمير أمتنا فكرًا وسلوكًا، لن ينقذها إلا الانقياد لرسول الله ﷺ والتزام بطاعته والتمسك بشريعته وحينئذ فقط يستحقون وصف الله تعالى ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] ويدخلون أيضًا في زمرة من وصفهم الله عز وجل بقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩](٢)، وكان الدكتور حلمي عبد المنعم صابر -رحمه الله تعالى- حريصًا على تذكيرنا بواجباتنا نحو الرسول ﷺ حيث قال: (ألا ما أحوجنا -نحن المسلمين- في هذا العصر الذي تقطعت فيه أواصر القربى برسول الله ﷺ ولأصبح كثير منا لا يأبه بسنته، ولا يحرص على شيء فيه طاعة لرسول الله ﷺ.. ألا ما أحوج الأمة في هذا العصر الذي تكالبت فيه عليها الأمم أن تعود إلى كتاب الله تعالى، **وإلى الانقياد لرسول الله ﷺ** بطاعته وتمسك بشريعته، فهما صمّام الأمن والأمان في المجتمع)(٣).

---

(١) فاروق جويدة مقال بعنوان «اختراق عقول الشباب العربي» (باختصار) جريدة ط الأهرام ص ١٣ ٩/٩/٢٠٢٢م، ونحن نفضل وصف الشباب بالمسلم.

(٢) د/ حلمي عبد المنعم صابر (واجبات الأمة بحق كاشف الغمة ﷺ) هدية مجلة (الأزهر) شهر صفر ١٤٤٤هـ.

(٣) نفسه ص ٤٤ . ويقول الشيخ رشيد رضا: (وإننا نعتقد أن المسلمين ما ضعفوا، وما زال لهم من الملك الواسع إلا بإعراضهم عن هداية القرآن، وإنه لا يعود إليهم شيء مما فقدوه من العز والسيادة والكرامة إلا بالرجوع إلى هدايته والاعتصام بحبله. تفسير المنار ج١ ص٣١.

وقد حدد الواجبات على النحو التالي :

- **الواجب الأول**: الإيمان بنبوته والتصديق برسالته ﷺ .

- **الواجب الثاني**: طاعته فيما أمر به واجتناب ما نهى عنه ﷺ .

- **الواجب الثالث**: إحياء سنته الشريفة وإماتة البدعة .

- **الواجب الرابع**: محبته والشوق إلى لقائه ﷺ .

- **الواجب الخامس**: تعظيم شأنه وتوقيره وبره ﷺ .

- **الواجب السادس**: الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .

- **الواجب السابع**: زيارة مسجده الشريف ﷺ .

وختم الكتاب بقوله: (وما أحوج أمتنا في هذا العصر الذي تخبطت مسيرتها فيه، ما أحوجها إلى أن تعود إلى رسول الله ﷺ وتوليه قيادتها، فقد أفلح ركب قائدهم رسول الله ﷺ(١).

وفضلاً عن ذلك كله طاعة الله تعالى فيما أمرنا به، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾، وذلك يعني قيامًا ببعض حقه ﷺ، وشغل القلب بفضله ﷺ، والتفات النفس إلى هديه، وتذكير النفس بسنته وعمله)(٢).

ويقول الدكتور أسامة عبد العظيم رحمه الله تعالى: (فلا يؤمن أحدكم حتى يكون رسول الله ﷺ أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين، فتلك الصلاة مقصود بها ما يدافع محبة رسول الله ﷺ أو يزاحمها محبة المخلوقين، لتدفع الشهوات لتنزوي النزوات ليبقى في القلب محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ)(٣).

---

(١) نفسه ص ٢٤ .

(٢) نفسه ص ١٠٧ .

(٣) د/ أسامة محمد عبد العظيم حمزة (فضائل الصلاة على النبي ﷺ) ص١٢ ط٢ دار الفتح بالقاهرة ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م، وفي الحديث تصحيح للغلو في حب الوطن أو تقديم الهوية الوطنية على الهوية الدينية الإسلامية.

(ومن فاته الصلاة على النبي ﷺ التي هي سكن لها، ففاته السكن وأصابه القلق والهلع وتملّكه الفزع ومنه قلبه انخلع؛ لأن صلاة الرسول ﷺ سكن لهم ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾[١].

يقول الدكتور حسان عبد الله حسان -أستاذ التربية بجامعة دمياط-: (إن النظام التربوي والتعليمي الإسلامي بوسائطه المدرسية المختلفة المقصودة وغير المقصودة -مسئول عن إعادة مكانة «النبوة» -مركز الاهتداء والقدوة- في معرفة المسلمين، وذلك بإعادة بناء مفهوم -حق النبوة- و«واجب المسلمين نحو النبوة»، وهذا واجب معرفي نظري ضروري في تفعيل اهتداء المسلمين بالنبوة الخاتمة، على أن تكون تلك المعرفة معرفة حقيقية لا مغالاة فيها ولا تقصير، والقرآن الكريم في ذلك يقدم منهجًا تربويًا فريداً للتعريف بالنبي ﷺ من حيث خلقته وخلقه ورسالته ومكانته وبعثته ودعوته)[٢].

ويقترح تصميم منهج الاقتداء الفكري النبوي للشباب والجامعيين كعلاج للحيرة والاضطراب التي تعاني منه الإنسانية المعاصرة.. فقد قدمت النبوة طريقًا للهداية الإنسانية بأنواعها: الهداية العقدية، والهداية النفسية، والهداية الاجتماعية..)[٣].

وهذا الكتاب يتضمن مختصراً لا يتعدى بضع صفحات قليلة عرضت فيه بمنهج تركيبي بعض النظرات الخاطفة المضيئة حول سيرة الرسول ﷺ، وحياته وجهاده وأحاديثه وسجاياها وأخلاقه، أقدمه لشبابنا خاصة والقراء عامة الذين

(١) نفسه ص ٢٥.

(٢) د/ حسان عبد الله حسان، مقال بعنوان: (القدوة والاهتداء في القرآن الكريم) ص ٨٥٩ مجلة الأزهر - ربيع الآخر ١٤٤٤هـ - أكتوبر /نوفمبر ٢٠٢٢م، ويبدو ان المؤلف الفاضل ينوي إضافة سلسلة مقالات أخرى لنفس الغرض؛ لأنه ختم المقال بعبارة: (يتبع إن شاء الله تعالى)، إنه مقال ممتاز لا غنى عنه للدعاة والمدرسين وأساتذة الجامعات، وخطباء المساجد وقد كتبه في وقت نحن أحوج ما نكون إليه فعلاً، فجزاه الله خيراً).

(٣) نفسه ص ٨٦٠.

حيل بينهم وبين الاطلاع على المؤلفات والموسوعات التي تناولت سيرة الرسول ﷺ وما أكثرها! وآمل أن يعثروا في هذا المختصر المتواضع على الغذاء الروحي والتعرّف على ما هو ضروري عن سنة الرسول ﷺ؛ لاتباعه في أقواله وأفعاله في كافة شئونهم الدينية والدنيوية؛ لأنه ﷺ هو وحده الهادي إلى الطريق المستقيم الذي يكفل للإنسان الحياة الطيبة في الدنيا والسعادة في الآخرة برحمة الله عز وجل.

والكتاب يشمل بابين:

الأول: مختصر لسيرة الرسول ﷺ، مع ذكر المصادر التي يمكن للقراء الرجوع إليها لمن يرغب في الاستزادة.

الثاني: الرد على أكاذيب وافتراءات المستشرقين التي زادت عن حدٍّ الاحتمال بسبب وقاحتها والإصرار على ذيوعها بواسطة تلاميذهم المنتشرين في بلادنا من العملاء، يحدقون بعيونهم ويصيخون آذانهم إلى مختلف الأوساط لمعرفة الاتجاهات لتحقيق أهدافهم بإثارة الشبهات والشكوك، والطعن في عقيدة الإسلام وشريعته، والنيْل من رسول الله ﷺ، وإشعال نار الخلافات والفتن بين المسلمين وتحويلهم إلى أحزاب وفرق بعد أن كانوا أمة واحدة متماسكة.. والغرض من ذلك كله هو العمل على استمرار الاستعمار ونفوذه من وراء الستار للأمة الإسلامية، يقول الأستاذ إبراهيم خليل: (والاستعمار السياسي على خطره في مقاتلها، كما يصيبها **الاستعمار الفكري** فيصيب العقائد والأخلاق والعادات والنظم الاجتماعية. وهذا الاستعمار يصيب الأمة في كيانها في الصميم ولا يبقى لها بعد ذلك هوية أو شخصية تزود بها خطراً من الأخطار يهددها في حاضرها أو مستقبلها، والأمم الإسلامية أشد الأمم تعرضاً لعداوة هذا الاستعمار)(١).

ونعود لتذكير القراء بحديث الرسول ﷺ في بداية المقدمة، والإلحاح بالدعوة للعمل به، والله المستعان.

---

(١) إبراهيم خليل احمد (الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية) وقد قام بالرد على أكاذيب المستشرقين وبرهن على تهافتها وفضح سرائرهم.

وأسال الله تعالى أن ينفع المسلمين بهذا الكتاب، فالخير أردتُ؛ ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨]، وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مصطفى بن محمد حلمي

الإسكندرية في ١٦ ذو الحجة ١٤٤٤هـ - ٤ يوليو ٢٠٢٣م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

فيما يلي صفحات مستلة من كتابي عن الأخلاق، تضمنت مختارات من سيرة الرسول ﷺ وبعض مراحل حياته وسجاياه وأخلاقه(١)، أقدمها لشبابنا ضحايا التعليم الذي أسسه (دنلوب)(٢) أثناء الاستعمار الإنجليزي لمصر، متعمداً تجهيل النشء بتراثهم وتاريخهم الإسلامي عامة، وكتاب الله وسنة رسوله ﷺ خاصة.

يقول الدكتور محمد حسين هيكل في مذكراته:

(. . فإلى سنة ١٩٢٢ كانت السياسة المرسومة لوزارة المعارف هي السياسة التي رسمها الاحتلال البريطاني، وكان المستشار الإنجليزي في وزارة المعارف يتولى هذه السياسة بدقة. ويعمل على ألا تخرج اليقظة القومية بها عن النطاق الذي حددته سياسة إنجلترا لها، وكانت هذه السياسة تقصر غرض التعليم في مصر على تخريج موظفين يقومون بشئون الإدارة الحكومية في سلامة وانقياد وفي الحدود المرسومة لهذه الإدارة)(٣).

---

(١) وكان مضمونه أحد أبواب كتاب (الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام)، طبعة دار الأمل بالإسكندرية ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م (الطبعة الثالثة)، فقد أضفت بعض الآيات القرآنية المتصلة بمناقب الرسول ﷺ، لم أذكرها في طبعة كتاب (الأخلاق)، ورأيت نشرها تعميماً للفائدة. والله المستعان.

(٢) مما يثير الأسى أن آثاره السامة ظلت سارية حتى الآن كما يذكر الأستاذ محمود شاكر بكتابه (في الطريق إلى ثقافتنا)!!

(٢) د/ محمد حسين هيكل (مذكرات في السياسة المصرية) جـ٢ ص ١٠٧ ط دار المعارف سنة ١٩٧٧م.
مع العلم بأن استعمار الإنجليز لمصر بدأ من يوليو سنة ١٨٨٢م.
وللأستاذ محمود سلطان مقال بعنوان (الثقافة والسياسة في معارك الإسلاميين والعلمانيين في مصر) مجلة (المنار الجديد) ص ٥٥ رجب ١٤٢٣هـ - أكتوبر ٢٠٠٢م، وعرّف التعليم الدنلوبي بأنه نسبة إلى مستر دنلوب المستشار الإنجليزي لوزارة التعليم المصرية خلال بداية القرن العشرين، والذي فرض سياسة تعليمية تقوم على تهميش اللغة العربية والتقليل من شأنها لصالح اللغة الإنجليزية.. وكان هدفه تخريج جيل فاقد الجنسية.. إنجليزي الثقافة والتعليم والهوى ص ٦٤ وكان في الأصل قسيساً! خلع رداء الكهنوت.
=

لذلك حق للأستاذ أنور الجندي وصف نظام التعليم بأنه (خنجر) مسموم في قلب الأمة!

هذا، ولا يفوتني التنبيه إلى أن هذا المختصر الضئيل عن السيرة النبوية لا يُغني قط عن الاطلاع على المؤلفات التي عُنيت بسيرته ﷺ وما أكثرها[1]، وهي جديرة باهتمامهم أيضًا حرصًا على شئون دينهم ودنياهم؛ لأنه وحده الهادي إلى الصراط المستقيم، والكفيل بتحقيق الحياة الطيبة في الدنيا والسعادة الأبدية في الآخرة أيضًا.

ومع غزارة مناقبه المتعددة ﷺ بالقرآن الكريم، اخترنا منها ثلاث آيات معبرة عنها رغبة في الإيجاز.

الأولى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾.

قال الإمام ابن كثير: (يمجد الله تعالى نفسه، ويعظِّم شأنه، لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه، فلا إله غيره ولا رب سواه، (الذي أسرى بعبده) يعني

= ويستطرد الأستاذ محمود سلطان ليصور لنا بطريقة أشمل التعليم والثقافة في مصر حينذاك، فقد قام الوفد عام ١٩٣٠ بتشييد ضريح سعد زغلول على شكل فرعوني وثني!! حيث خاض الوفد معركة سياسية مع دعاة الهوية الإسلامية.

وانحيازاً إلى فكرة « الوطنية المصرية » التي تستمد ثقافتها من « الفرعونية » كانت قد دلفت إلى عقول بعض النخبة المصرية، بعد دخول الإنجليز مصر، وانتشار « الدنلوبي » الذي أعاد إحياء الثقافة الفرعونية، في إطار الاشتباك الثقافي بين الاستشراق الفرنسي من جهة والاستشراق الإنجليزي من جهة أخرى، في محاولة كليهما لفرض هيمنته الثقافية على المجتمع المصري!!).

(١) وإن المرء ليعجز عن الإحاطة بسيرة الرسول ﷺ، ولعل البديل يتمثل في: إما الكتب المختصرة، ككتاب: (أخلاق النبي ﷺ وآدابه للأصبهاني (٣٦٩هـ) ويقع في ٨٨ من القطع الكبير)، أو الموسوعات الشاملة ككتاب الإمام ابن القيم (٧٥١هـ): (زاد المعاد في هدي خير العباد ﷺ)، وخصص كتاب لأذكار الرسول ﷺ ودعواته بكتاب: (الوابل الصيب من الكلم الطيب).

(أ) حققه وكتب حواشيه: أحمد مرسي أحمد، ط مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٧٢م.

(ب) الطبعة الثانية –دار المعرفة –بيروت ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م ويقع في ١٣٧٦صفحة من القطع الكبير.

محمداً ﷺ، (ليلاً) أي في جنح الليل، (من المسجد الحرام) وهو مسجد مكة، (إلى المسجد الأقصى) وهو بيت المقدس الذي بإيلياء معبر الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل؛ ولذا جمعوا له هناك كلهم، فأمّهم في محلّتهم ودارهم، **فدل على أنه هو الإمام الأعظم والرئيس المقدّم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين**)(١).

وفي تفسير السعدي قال: (فأسرى به في ليلة واحدة إلى مسافة بعيدة جداً، ورجع في ليلته، وآراه من آياته ما زاد به هدى وبصيرة وثباتاً، وفرقاناً.. وهذا من اعتنائه تعالى به، ولطفه، كي ييسّره لليسرى، في جميع أموره، وخوّله نعماً فاق بها الأولين والآخرين).. وحاز من المفاخر تلك الليلة، هو وأمته، ما لا يعلم مقداره إلا الله عز وجل).

والثانية: قال تعالى: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾ [التوبة: ١٢٩].

والتفسير: يمتن الله تعالى على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي ﷺ الذي من أنفسهم، يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون من الانقياد له، وهو ﷺ في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم ﴿**عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ**﴾ أي: يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم.

﴿**حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ**﴾ فيحب لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه. ﴿**بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ أي: شديد الرأفة والرحمة بهم. أرحم بهم من والديهم.

ولهذا كان حقه مقدماً على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمان به، وتعظيمه، وتوقيره، وتعزيزه، (فإن) آمنوا، فذلك حظهم وتوفيقهم، وإن ﴿**تَوَلَّوْا**﴾

---

(١) ابن كثير، مختصر تفسير القرآن العظيم) جـ٢ ص ٣٥٩ دار الوفاء بالمنصورة. ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
عبد الرحمن السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ص ٤٣١ مكتبة الصفا بالأزهر ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

عن الإيمان والعمل، فامض في سبيلك، ولا تزل عن دعوتك، وقل (حَسْبِيَ اللَّهُ)، أي الله يكفيني جميع ما أهمني، ﴿ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ أي: لا معبود بحق سواه، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي: اعتمدت، ووثقت به، في جلب ما ينفع، ودفع ما يضر، ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ الذي هو أعظم المخلوقات.

وإذا كان رب العرش العظيم، الذي وسع المخلوقات، كان ربًا لمن دونه من باب أولى، وأحرى.

وقال الإمام ابن كثير: (هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ؛ في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر الناس بالتأسّي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب، في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظار الفرج من ربه، عز وجل صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين؛ ولهذا قال الله تعالى للذين قلقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي: هلا اقتديتم به وتاسيتم بشمائله؟ [1]؛ ولهذا قال: ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

والثالثة: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [سورة النساء: ٨٠].

والمعنى كما يفسره الإمام السعدي: أي: في أوامره ونواهيه، (فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) تعالى؛ لكونه لا يامر ولا ينهى، إلا بأمر الله، وشرعه، ووحيه وتنزيله، وفي هذا عصمة الرسول ﷺ؛ لأن الله أمر بطاعته مطلقًا، فلولا أنه معصوم في كل ما يبلغ عن الله، لم يأمر بطاعته مطلقًا، ويُمدح على ذلك).

هذا وقد كانت المؤرخة البريطانية كارن أرمسترونغ: في تأريخها للسيرة النبوية حريصة على عرض ذلك بقولها: (كان النبي ﷺ يتلقى الوحي من الله، فطول فترة النبوة كان الله يرسل إليه آيات القرآن، وحين كان يعضله أمر أو تمرُّ أزمة بالأمة كان ينسحب بنفسه ويستمع إلى الصوت الإلهي يلهمه الحلول. وهكذا ظل طوال حياته في جدال دائم بين الحقيقة السماوية والأحداث الدنيوية القاسية والمربكة.

ولهذا كان القرآن يرصد الأحداث الجارية ويقدم فيها الإرشاد الإلهي والتعاليم الإسلامية)(١).

وفي موضع آخر من كتابها ذكرت كتابي صحيحي البخاري ومسلم؛ حيث تضمّنا تفاصيل حياة النبي ﷺ في المآكل والمشرب والاغتسال والكلام والصلاة وغيرها، ويتمنّى المسلم أن يحظى بما حظي به النبي ﷺ من إسلام نفسه لله(٢).

كذلك لخصت بإيجاز آثار سيرته ﷺ الخالدة بقولها: (أثّرت سيرة وإنجازات الرسول ﷺ تأثيراً دائماً روحيًّا وسياسيًّا وأخلاقيًّا؛ مما أدى إلى إنقاذ المسلمين من الجحيم السياسي والاجتماعي الذي كان مستعراً في الجزيرة العربية قبل الإسلام.. ووفّر لهم إطاراً حياتيًّا يسهل من خلاله على المسلمين طاعة الله بقلب مخلص، وهو ما كان يمنحهم شعوراً بالرضا والانتشاء بالحياة.. كان النبي ﷺ المثال الأكمل للتفاني في طاعة الله، ويحاول المسلمون أن يقتربوا على قدر استطاعتهم من هذا المثال في حياتهم روحيًّا واجتماعيًّا).

وإننا لنشعر بالفخر لتلك الشهادة، كما نُخرّص بها ألسنة المستشرقين، ونتعجب لإصابتها في تصوير جهاد الرسول ﷺ وتأثيره العميق في أمته.. ونسأل الله تعالى أن ينير بصائر الغافلين.

(١) كارن أرمسترونغ (سيرة الإسلام) ص ٥٦، ترجمة د/ هشام الحناوي – بدون اسم، دار النشر رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠١٢م.

(٢) نفسه ص ١٠٢.

الباب الأول:

أضواء على سيرة الرسول ﷺ

ما يتميز به الأنبياء عليهم السلام عن سائر البشر

ذكر العلامة ابن خلدون في مقدمته ما تميز به الأنبياء عليهم السلام؛ إذ إن الله تعالى اصطفى من البشر أشخاصًا فضّلهم بخطابه.. وفطرهم على معرفته، وجعلهم وسائل بينه وبين عباده، يُعرّفونهم بمصالحهم، ويحرضونهم على هدايتهم، ويأخذون بحجزاتهم[1] عن النار، ويدلونهم على طريق النجاة، وكان فيما يلقيه إليهم من المعارف ويظهره على ألسنتهم من الخوارق والأخبار والكائنات المغيّبة عن البشر التي لا سبيل إلى معرفتها إلا من الله تعالى بوساطتهم ولا يعلمونها إلا بتعليم الله إياهم.

قال ﷺ: «**ألا وإني لا أعلم إلا ما علمني الله**»، وأعلم أن خبرهم في ذلك من خاصيته وضرورته الصدق؛ لما يتبين لك عند بيان حقيقة النبوة.

وعلامة هذا الصنف من البشر أن توجد لهم في حال الوحي غيبة عن الحاضرين معهم، مع غطيط كأنها غُشّي أو إغماء في رأي العين وليست منهما في شيء، وإنما هي في الحقيقة استغراق في لقاء الملك الروحاني.. بإدراكهم المناسب لهم الخارج عن مدارك البشر بالكلية، ثم يتنزل إلى المدارك البشرية؛ إما بسماع دويٍّ من الكلام فيتفهمه، أو يتمثل له صورة شخص يخاطبه بما جاء به من عند الله تعالى، ثم تنجلي عنه تلك الحال وقد وعي ما أُلقي إليه. قال ﷺ وقد سُئل عن الوحي: «**أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشد علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول**»، أخرجه البخاري في باب (بدء الوحي)، ويدركه أثناء ذلك من الشد والغط ما لا يُعبّر عنه، ففي الحديث: «كان مما يعالج من التنزيل شدة»، كما ورد في صحيح البخاري.. عن

(١) يُقال «واخذ بحجزته عن كذا» أي صرفه عنه ووقاه إياه.

ابن عباس قال: (كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة)، وقالت عائشة رضي الله عنها: (كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصّد عرقًا)، أخرجه البخاري في باب «بدء الوحي»، قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ [المزمل: ٥]؛ ولأجل هذه الحالة في تنزُّل الوحي كان المشركون يرمون الأنبياء بالجنون، ويقولون له رئى (أي تابع وقرين من الجن). وإنما لُبّس عليهم ما شاهدوه من ظاهر تلك الأحوال؛ ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣][(١)].

(١) مقدمة ابن خلدون جـ١ ص ٤٠٥/٤٠٦، دراسة وتحقيق وتعليق د/ علي عبد الواحد وافي، مطبعة نهضة مصر سنة ٢٠٠٤م.

فصل

معجزة الرسول ﷺ: القرآن الكريم

١-الطبيب الفرنسي بوكـــاي
يبطل أكاذيب المستشرقين[1]

صرح الدكتور موريس بوكاي في كتابه الذي ألفه لدراسة الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن الكريم؛ حيث أثارت دهشته العميقة في البداية. ثم أقبل على دراسة النصوص المتعلقة بروح متحررة من كل حكم مسبق وبموضوعية تامة، كما صرح بأنه إذا كان هناك تأثر قد مورس فهو بالتأكيد تأثيرات التعليم التي تلقاها في شبابه؛ حيث كانت الغالبية لا تتحدث عن المسلمين وإنما عن المحمديين؛ لتأكيد الإشارة إلى أن المعني به دين أسسه رجل، وبالتالي دين عديم القيمة تماماً إزاء الله.

وقبل الدراسة شعر بالحاجة الملحة لتعلُّم اللغة العربية التي لم يكن يعرفها حتى يكون قادراً على التقدم في دراسة هذا الدين الذي يجهله الكثيرون. وكان هدفه الأول هو قراءة القرآن ودراسة نصه، مستعيناً بمختلف التعليقات اللازمة للدراسة النقدية، وتناول القرآن منتبهاً بشكل خاص إلى الوصف الذي يعطيه من حشد كبير من الظاهرات الطبيعية، فهناك الخلق وعلم الفلك، وعرض لبعض الموضوعات الخاصة بالأرض، وعالم الحيوان، وعالم النبات والتناسل الإنساني. وقد أذهلته مطابقته للمفاهيم التي نملكها اليوم عن نفس هذه الظاهرات والتي لم يكن ممكناً لأي إنسان في عصر محمد ﷺ أن يكوّن عنها أدنى فكرة[2].

وفي النهاية يقول: (ولا يستطيع الإنسان تصور أن كثيراً من المقولات ذات السمة العلمية كانت من تأليف بشر بسبب حالة المعارف في عصر محمد ﷺ).

لذا فمن المشروع تماماً أن ينظر القرآن على أنه تعبير الوحي من الله تعالى، وأن

---

(١) ومنهم المستشرق الإنجليزي (جب) بكتابه «المذهب المحمدي» الذي قال فيه بأن القرآن الكريم ليس وحياً من الله عز وجل وأن الإسلام دين بشري!! إبراهيم خليل أحمد (الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية) ص ٦٧/٦٨ ط مكتبة الوعي العربي -أغسطس سنة ١٩٧٢م.

(٢) د. موريس بوكاي (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم -دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة) ص ١٤٥،١٤٤، ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٩م.

تعطي له مكانة خاصة جداً؛ حيث إن صحته أصلاً لا يمكن الشك فيها، وحيث إن احتواءه على المعطيات العلمية المدروسة في عصرنا تبدو كأنها تتحدى أي تفسير وضعي، عقيمة حقًّا المحاولات التي تسعى لإيجاد تفسير للقرآن بالاعتماد فقط على الاعتبارات المادية[1].

٢-إعجاز القرآن عند الدكتور/ طه حسين

حرص الدكتور طه حسين بكتابه (مرآة الإسلام) على تفسير عدة سور من القرآن الكريم، مع تعليقاته على كل واحدة منها؛ ليبرهن على أنه وحي من الله جل وعلا، مع بيان إعجازه أيضاً.

وقد صوّر لنا إنكار قريش للقرآن الكريم بقوله: (وكان العتاةُ منهم والجبارون ربما سخروا من النبي ﷺ ومما يتلو عليهم، وربما سألوه أن يأتيهم بآية تثبت صدقه، فكان يتلو عليهم من القرآن ما يرد على سخريتهم، وكان ينبئهم بأنه لا يأتيهم بآية إلا هذا القرآن الذي يتلوه عليهم، والذي جاءه من عند ربه جل وعلا، ويتحداهم فيسألهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وكان عجزهم من أن يأتوا بمثل هذا القرآن هو الدليل على أنه ليس من كلام الناس، وإنما كلام الله تعالى الذي لا سبيل إلى تقليده ولا إلى محاكاته، فضلاً عن الإيتاء بمثل ما يأتي به، وكان يتلو عليهم فيما يتلو هذه الآية: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ [الإسراء: ٨٨][2].

وكان ﷺ يتلو عليهم من القرآن الكريم فيسمعون أحيانًا ويسخرون ويجادلون، ويعرضون عنه أحيانًا ويأبون أن يسمعوا أو يعقلوا، وكان يتلو عليهم من القرآن: خلق آدم وإسكانه هو وامرأته الجنة، ونهيه إياهما أن يقربا الشجرة المحرمة، وإغراء الشيطان لهما بالمعصية، وإخراجهما من الجنة، ويقصُّ عليهم كذلك من أخبار

(١) نفسه ص ٢٨٦ .

(٢) د. طه حسين (مرآة الإسلام) ص ٥٠، دار المعارف بمصر ١٩٥٩م. وقد كتبه بعد تحوّله من التغريب إلى الفكر الإسلامي. (ينظر كتاب الدكتور محمد عمارة «طه حسين من الانبهار بالغرب إلى الانتصار للإسلام»- هدية من مجلة (الأزهر) ذو القعدة سنة ١٤٣٥هـ.

السماء ما كان من مجاهرة إبليس بالمعصية وإبائه أن يسجد إعظامًا لخلق آدم كما سجدت الملائكة، وما حلّ به من غضب الله عليه، وما زعم أنه سيفسد ولد آدم وسيحملهم على المعصية، وأشياء أخرى كثيرة كان يقصّها عليهم يعظهم لعلهم أن يهتدوا، فلا يحفلون بشيء مما يسمعون إلا هذه القلة القليلة التي كانت روعة القرآن تبهر قلوبهم، وكانت قوة الحجة تسحر عقلوهم فيؤمنون جهرًا أو سرًا كالذي كان من أمر عمر حين أُنبئ بأن أخته وزوجها قد أسلما، وقد ألقى إليه هذا النبأ وهو في طريقه إلى النبي ﷺ ليبطش به فيما زعم، فلما سمع من أمر أخته وزوجها عدل إليهما ليبدأ بهما، ولكنه ينتهي إلى أن يقرأ عندهما الآيات الأولى من سورة طه، فيلين قلبه بعد قسوة وترقُّ نفسه بعد غلظة، وإذا هو يذهب إلى النبي ﷺ ـلا لقتلهـ بل ليشهد على أنه مؤمن بالله وبأن محمداً ﷺ رسوله)[١]

وبعد تفسيره لسورة (آل عمران) علق بقوله: (فهذه اشتملت فيما عدا الوعظ والتخويف على ما قصّ الله من أمر المسيح وأمه، وعلى محاجة النصارى واليهود، وعلى قصة أحد، فمن البيِّن أن هذه الموضوعات لم تنزل آياتها جملة، وإنما نزلت منجّمة حسب الظروف والأحداث، وقلْ مثل هذا في سائر سور القرآن الكريم)[٢].

ثم يقرر أن القرآن كله من عند الله تعالى، وهو وحده في روحه وفي إعجازه مهما يختلف تنزيل سوره، ومهما تختلف موضوعات السور ومذاهب القول فيها، واختلاف مذاهب القول في القرآن دليل قوي من دلائل الإعجاز[٣].

ويقول أيضًا: (ولو ذهبت أصف فنون الإعجاز في القرآن وملاءمة كل مذهب من مذاهب القول فيه لما فرغت من هذا الحديث).

---

(١) نفسه ص ٥٨، ٥٩ وتذكر إحدى روايات إسلامية أنه عندما سمع قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]، قال: ما ينبغي لمن يقول هذا أن يعبد معه غيره ولا حتى محمد ﷺ، د/ محمد الفحام (محمد الرسول ﷺ) ص ٥٩ .

(٢) نفسه ص ١٨٨، ١٨٩ .

(٣) نفسه ص ١٨٩ .

والقرآن بعد ذلك بين يدي كل ذي بصيرة يستطيع أن يقرأه وأن يقف عند سوره وآياته متدبرًا ومتأملاً مستبصرًا، فيرى من غير شك أني لم أبلغ من وصف القرآن وإعجازه بعض ما أريد، وإعجاز القرآن شيء يشعر به القلب وتمتلئ به النفس، ويذعن له الضمير، ويعجز عن وصفه القلم واللسان(١).

كذلك وصف الدكتور / طه حسين القرآن الكريم بقوله: «إن القرآن ليس شعرًا لأنه لم يتقيد بقيوده، وليس نثرًا لأنه مقيد بقيود خاصة لا توجد في غيره، قيود يتصل بعضها بأواخر الآيات وبعضها بتلك النغمة الموسيقية الخاصة، فهو إذن ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾ [فصلت: ٣].

وهو الوحيد في بابه، لم يكن قبله ولم يكن بعده مثله، ولم يحاول أحد أن يأتي بمثله، وتحدى الناس أن يحاكوه، وأنذرهم أن لن يجدوا إلى ذلك سبيلاً، فأراح الخطباء أنفسهم من هذه المحاولة المستحيلة التي عدّوها خروجًا على الدين، ولما كان القرآن مستحيل المحاكاة فمن الحق علينا أن نضعه في مقامه الخاص الذي لا يصح أن يقاس به شيء آخر»(٢).

---

(١) نفسه ص ١٩٤ .

(٢) طه حسين -المقتطف عدد فبراير ١٩٣١ (تراث طه حسين)، جـ٢، ص ٥١٠ . نقلاً عن د. محمد عمارة (طه حسين من الانبهار بالغرب إلى الانتصار للإسلام)، ص٩٦، ٩٧. أما عن كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) فيذكر الدكتور عمارة أنه كان يعيد طبع جميع كتبه إلا هذا الكتاب! وعندما سُئل عن السر في ذلك -أثناء حوار معه نشرته صحيفة الأهرام- أول مارس ١٩٧١م، أي قبل وفاته بعامين، قال: ده كتاب.. قديم قوي، عاوز يتجدد.. ويجب أن أعود إليه وأصلح بعض حاجات -واضيف: أي أنه اعتبر هذا الكتاب بمثابة جملة اعتراضية في حياته الكفرية- واجبة الحذف من سياق تصوره الفكري- لا يعاد طبعه إلا بعد المراجعة والإصلاح والحذف والإضافات، نفس المصدر ص ١٣٩-١٦٨، والكتاب هدية ذي القعدة لمجلة الأزهر ١٤٣٥هـ.

وقال الدكتور طه حسين أيضًا قبل وفاته في حوار أجراه معه غالي شكري: (أودعكم بقليل من الأمل وبكثير من الألم)، وهو ما رأى فيه البعض تعبيره الرهيب عن فشل مشروعه (أي ما تضمنه كتابه، مستقبل الثقافة في مصر). المصدر، يحيى بن الوليد (الوعي المحلق- إدوارد سعيد -رجال العرب)، ص ٢٨١، مكتبة الأسرة ٢٠١٠م.

٣- وتقول د/ عائشة عبد الرحمن:

(كلما حسب جيل أنه بلغ منه الغاية، امتد الأفق بعيدًا وراء كل مطمع، عاليًا يفوق طاقة الدارسين!!)[١].

وتزيد قضية الإعجاز إيضاحًا؛ إذ تقرّر أنه ما من شك أن عجز البلغاء من العصر الأول، عن معارضة القرآن وفيهم صح الفصاحة، برهان قاطع في قضية التحدي، فحين نقول إنها حُسمت في عصر المبعث، فلا يمكن بحال ما أن يُحمل هذا القول على فطنة اختصاص إعجازه بعصر المبعث دون سائر الإعصار، وإنما معناه أن منهم أصل العربية، لغة القرآن، هم الذين يُفترض أن يواجهوا بالتحدي؛ لما يملكون من أسرار لغتهم التي نزل بها الكتاب العربي المبين. فاختصاصهم بالتحدي جاء من كونهم أهل الاختصاص بالعربية لغة القرآن، وقد حسمها عجزهم على أن يأتوا بسورة من مثله، والمعجزة على الأيام باقية وعلى الدهور والأزمان ثابتة، كما قال الإمام الطبري في مقدمة تفسيره[٢].

حاشية:

هذا هو موقف الدكتور طه حسين الذي تبرأ فيه من آرائه السابقة، وتحوله بالكامل إلى الانتصار للإسلام، معبرًا عنه بكتاب (مرآة الإسلام).

ولا يفوتنا بهذه المناسبة، ذكر واقعة تحول الدكتور زكي نجيب محمود أيضًا، من حيث استمساكه بالمذهب الوضعي لسنوات طويلة، ثم فاجأ المتغربين بموقفه الجديد المنتصر للإسلام كعقيدة وشريعة ونظام حياة متكامل، فقال: (لا بد أن ينحصر انتباهنا إلى أمرين، وهما الأمران اللذان يجيء الدين من أجلهما؛ الأول: هو العقيدة، والثاني: السلوك أو القيم التي يريد الدين للمؤمنين به أن يلتزموها في

---

(١) د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) (الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق -دراسة قرآنية لغوية وبيانية) ص ١٩ . ط. دار المعارف ١٩٨٧م، ويقع الكتاب في ٦١٦ صفحة من القطع الكبير.

(٢) نفسه ص ٧٨ . ولنا بدورنا دعوة خاصة نوجهها إلى الحداثيين بدافع الشفقة عليهم، فندعوهم للتدبر الواعي لمضمون الصفحات السابقة، والتخلص من سموم الحداثة الوافدة من الغرب؛ لأنها قد تؤدي بهم إلى التهلكة. وقد أعذر من أنذر.

حياتهم، فبها يعرف المؤمن كيف تكون الصلة بينه وبين ربه، والصلة بينه وبين الآخرين، والصلة بينه وبين نفسه. وبالنسبة للدين الإسلامي، فإن العقيدة مدارها التوحيد والقيم الضابطة للسلوك، وممكن الرجوع فيها إلى الأصلين: القرآن وسنة النبي عليه الصلاة والسلام.

وفي رده على أحد العلمانيين الذي خلط بين قيم الدين الثابتة والمتغيرات في دائرتي العلم والفن، قال: (أستأذن الكاتب الفاضل في تذكيره بأن مجال القول هو الدين بجانبيه: العقيدة وضوابط السلوك، وليس هو العلم، والفن، حتى يجوز له أن يعترض بحضارات المصريين القدماء، واليونان القدماء وغيرهما من أمثلة ساقها في تساؤلاته، وأضرب لك مثلاً بما ورد بسورة (الفجر) من القرآن الكريم؛ ففيها سيقت أمثلة من ثلاث حضارات قديمة برعت في الفنون، فقوم «عاد» قد تفوقوا في فن العمارة تفوقًا مكّنهم من بناء «إرم» على طراز فريد، وهو أن يقيموا مشيداتهم على عُمُد، حتى ليشاهد القادم من بعيد ما يظنه غابة من أعمدة حجرية، وقبيلة «ثمود» التي سكنت واديًا من الصخر الجدب، تفوقت في نحت التماثيل من صخر واديهم، وشعب مصر أيام فرعون، والمقصود هو فرعون الفترة التي ظهر فيها موسى عليه السلام، فقد برع في إقامة المسلات وغيرها من نواتج الفن التي تعلو إلى السماء وكأنها أوتاد، فلو كانت البراعة في الفن وحدها هي التي تميز الشعوب لتحتم على الحضارات الثلاث المذكورة أن تدوم، أو عليها بناء الفرد وبناء المجتمع على مبادئ كالتكافل الاجتماعي والتعاطف والتعاون والمساواة.

ويعيد الفكرة عند المقارنة مع العلم، فيقرر أن مبادئ الدين ثابتة عند المؤمنين بذلك الدين؛ لأنها في آخر المطاف «معايير» يقاس بها السلوك ليجزي خيراً بخير وشراً بشر، وكان للمعيار أن يحتفظ بمعنى واحد، وإلا فقد معياريته.. . وأما «العلم» فهو متغير مع تقدمه في تعاقب العصور؛ لأن عصراً لاحقًا يصحّح أخطاء العلم في عصر سابق..)[1].

---

(١) جريدة الأهرام بتاريخ ٥ / ٤ / ١٩٨٨، ومقال بتاريخ ٢٦ / ١ / ١٩٨٨ (باختصار شديد).

هذا، وفضلاً عن معجزة القرآن الكريم، فقد كان للرسول ﷺ أيضًا **معجزات حسيّة** كما وردت في كتب السيرة بأسانيدها، وقد لخصها الإمام البيهقي في كتابه (دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ﷺ).

فبعد أن ذكر الإمام البيهقي اعتراف العرب بقصورهم عن القرآن الكريم وعجزهم عن الإتيان بمثله أضاف أيضًا:

(ومن وقف على ما أعده العلماء من القرآن على إيجازه من أنواع العلوم، واستنبطوه من معانيه، وكتبوه ودوّنوه في كتب لعلها تزيد على ألف مجلدة، على أن كلام البشر لا يفيد ما أفاد القرآن، وعلم أنه كلام رب العزة، فهذا بيّن واضح لمن هُدي إلى صراط مستقيم)[1].

أما عن آيات المعجزات الأخرى الحسية فهي: انشقاق القمر، وحنين الجذع وخروج الماء من بين أصابعه، حتى توضأ منه ناس كثير، وتسبيح الطعام، وإجابه الشجرة إياه حين دعاها، وتكليم الذراع المسمومة إياه، وشهادة الذئب والضب والرضيع والميت له بالرسالة، وازدياد الماء والطعام والماء بدعائه حتى أصاب منه ناس كثير، وما كان من حلبه الشاة التي لم ينز عليها الفحل، ونزول اللبن بها، وما كان من إخباره عن الكوئين، فوجب تصديقه في زمانه وبعده، وغير ذلك مما قد ذُكر ودون في الكتب).

بعض المعجزات الحسيّة للرسول ﷺ

يقول الدكتور شوقي ضيف: (إن معجزات الرسل جميعها معجزات حسية تُرى بالبصر، مثل عصا موسى ويده البيضاء، ومثل طوفان نوح، ونار إبراهيم، وبرء عيسى للأبرص والأعمى، والقرآن ليس معجزة حسية، وإنما هو آيات ومعجزات

صلى الله عليه وسلم

(١) كتاب دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ٣٨٤– ٤٥٨هـ – تحقيق د/ عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية ببروت –ودار الريان للتراث –القاهرة، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م، وللدكتور مصطفى مراد (كلية الدعوة –جامعة الأزهر) كتاب بعنوان: (معجزات الرسول ﷺ) ط دار الفجر للتراث –خلف الجامع الأزهر ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٠م.

معنوية من الكلم، وكأنما أراد الله -ولا رادّ لمشيئته- أن يكون إعجاز القرآن على لسان محمد ﷺ إعجازاً عقليًا لا يدركه الحس وإنما يدركه العقل... وكأنما أراد الله تعالى أن تكون آيات القرآن المعجزة، الشاهدة على صدق رسالته، عقلية حتى تخلد على مر الأزمنة إلى يوم القيامة، بينما كانت معجزات الرسل السابقين معجزات حسية انتهت بانتهاء عصورهم فلم يشاهدها إلا من حضروها، أما القرآن فإعجازه مستمر إلى يوم القيامة)[1].

هذا، وقد لخّص القاضي عياض إعجاز القرآن بقوله: (وكون القرآن من قبل النبي ﷺ، وأنه أتى به معلوم ضرورة، وكونه ﷺ متحديًا به معلوم ضرورة، وعجز العرب عن الإتيان به معلوم ضرورة، وكونه في فصاحته خارقًا للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة، وسبيل من ليس من أهلها، علم ذلك بعجز المنكرين من أهلها عن معارضته، واعتراف المقرّين بإعجاز بلاغته)[2].

ثم قام القاضي عياض بإحصاء المعجزات الحسية للرسول ﷺ، وذكرها تفصيلاً من الفصل الحادي عشر من كتابه إلى الفصل الثامن والعشرين. ونعرض فيما يلي للعناوين فحسب رغبة في الإيجاز، وللقراء الاطلاع عليها كاملة في كتابه لمن أراد:

- في انشقاق القمر وحجب الشمس.
- في نبع الماء من بين أصابعه وتكثيره ببركته ﷺ.
- تفجير الماء ببركته ﷺ.
- ومن معجزاته: تكثير الطعام ببركته ودعائه.
- في كلام الشجرة وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته ﷺ.
- في قصة حنين الجذع له ﷺ.

---

(١) د/ شوقي ضيف (معجزات القرآن) ص ٤١ / ٤٢ باختصار - دار المعارف سنة ٢٠٠٢م.

(٢) القاضي عياض (الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ) ص ٢٧٤.

- ومثل ذلك في سائر الجمادات.

- في الآيات في ضروب الحيوانات.

- في إحياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة ﷺ.

- في إبرائه المرضى وذوي العاهات.

- في إجابة دعائه ﷺ.

- في كراماته وبركاته وانقلاب الأعيان فيما لمسه أو باشره.

- ومن ذلك ما اطّلع عليه من الغيوب وما يكون.

- في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من آذاه.

- معارفه وعلومه ﷺ.

- أنباؤه مع الملائكة والجن.

- أخباره وصفاته وعلامات رسالته عند أخبار الرهبان وعلماء ذلك الزمان.

- ما حدث عند مولده ﷺ(١).

(١) القاضي عياض (الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ) من ص ٢٩٠ إلى ص ٣٧٨ ط دار التراث بالقاهرة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

فصل

دور الأنبياء عليهم السلام في هداية بني البشر

ويرى الإمام أبو الحسن الندوي أن انصراف البشرية عن الاهتداء بالنبوة والأنبياء أدّى بهم إلى الوقوع في الأزمات، وأصبحت موضوع عبث العابثين من القادة والزعماء والمصلحين الاجتماعيين وقادة السياسة وغيرهم من المجازفين من المشرعين والأدباء والفلاسفة، فجرَّ كلُّ ذلك على الإنسانية شقاءً طويلاً وويلاً عظيماً.. ويدلل على ذلك أيضًا أحوال المجتمعات المعاصرة التي أصبحت في حاجة ملحة للاهتداء بسبيل النبوة من جديد[(١)].

هذا، وقد عُني مؤرخونا عناية كبرى بقصص الرسل والأنبياء، منهم الإمام ابن كثير بكتابه (البداية والنهاية).

قال ابن كثير:

(والذي (يشتمل) على غالب قصص الأنبياء والمرسلين المذكورين في كتاب الله تبارك وتعالى.. ما كان عليه هؤلاء الصفوة الكرام من عباد الله عز وجل من الأخلاق الحميدة والسلوك القويم، وحسن التعبد لله تبارك وتعالى، ورحمتهم ورفقهم بخلقه.. وكانت قصصهم عبرة، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١][(٢)].

ويشرح الشيخ محمد محمود الصواف -رحمه الله- دور الرسل في تربيتهم الروحية لبني آدم عليه السلام؛ بأن أرسل لهم أولئك الرسل، وأنزل معهم الكتب

(١) الإمام أبو الحسن الندوي كتابه: (النبوة والأنبياء في ضوء القرآن) ص ١٠ .

(٢) وينظر كتاب (قصص الأنبياء) لابن كثير - تحقيق: محمود بن الجميل ص ٦ باختصار، وهو جزء مقتطع من كتاب (البداية والنهاية) مع تعليقات الألباني، مكتبة الصفا بالأزهر ١٤٢٦هـ-٢٠٠٢ م، وقد جمع ابن كثير أحاديث النبي ﷺ في هذا الكتاب عن خلقه آدم عليه السلام من ص ٣٢ إلى ص ٣٦ .

والبينات والهدى والفرقان، وأوجب عليهم من العبادات والعقائد والأخلاق ما يربّي أرواحهم ويرتفع بها عن إنسانيتها الضعيفة إلى الملائكية الطاهرة.. وأنزل مع كل رسول كتابًا يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، ثم ختم هذه الرسالات وتلك النبوات بكتاب جمع فيه ما في الكتب كلها وزاد عليه ما شاء أن يزيد، وجعله حجة على الناس أجمعين وحفظه في التنزيل، وقال فيه: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [الحجر: ٩].

ثم جعل الله خلفاء للأنبياء يبلّغون رسالتهم، ويدعون بدعوتهم، ويجمعون الناس على فكرتهم، بعد أن يشرحوها للناس ويبلّغونها بالحكمة والموعظة الحسنة. وهم العلماء العاملون حملة كتاب الله والداعون إليه بالمعروف والإحسان، والمجاهدون في سبيل إعلاء كلمة الله. وقد ورد عن رسول الله ﷺ: «**العلماء ورثة الأنبياء**».

ولن تتحقق لهم وراثة النبوة حتى ينالهم ما نال الأنبياء من البلايا، والمحن والمشقات والأذى، فيصبروا كما صبر أولئك الهداة؛ حينئذ يكونوا ورثتهم بحق)[(١)].

هذا، وقد قسّم علماؤنا معاني القرآن إلى ثلاثة أثلاث: ثلث يتحدّث عن الله عز وجل وتوحيده، وثلث يتحدث عن أحكام الله تعالى وأوامره ونواهيه، وثلث يتحدث عن **قصص الأنبياء** وأهل التوحيد وما عالجوه مع أقوالهم. وتعلُّم قصص الأنبياء يعلم المسلم والأمة المنهج الصحيح، وهو منهج النبوة، منهج الأنبياء منهج رباني معصوم يحفظ المسلم من المناهج المنحرفة ومن ثم لا يستطيع المسلم تعلُّم كل جوانب الحياة الصحيحة إلاّ عن طريق دراسة حياة الأنبياء، بل إن تقديم الأنبياء

---

(١) محمد محمود الصواف (عدة المسلمين في معاني الفاتحة وقصار السور من كتاب رب العالمين) ص ٤٤/٤٥ باختصار، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، ط الدار السعودية للنشر - جدة.

قدوة للعالم -وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ- أمر ملحّ ومنقذ للعالم في هذا الزمان؛ لأنهم مصدر سعادة الخلق في الأرض، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[1].

(١) نور الدين فريد شوقي المصري (تحمّل المسئولية) ص ١١٢ باختصار، ط دار أويس بالإسكندرية ١٤٤٤هـ.

فصل

حالة العصر قبل نبوته ﷺ

أطق القرآن الكريم على هذا العصر الذي سبق ظهور الرسول ﷺ : (الجاهلية) أو (العصر المظلم)، وهو اسم يحمل في لفظة واحدة ما قد يحتاج شرحه إلى مجلدات.. ويصف حالة الانحطاط التي تردّى إليها الوثنيون العرب، واليهود والنصارى على حدّ سواء.. ويعني إما حضارة وحياة أخلاقية نشأت بفضل الأنبياء الذين بعثهم الله تعالى في مختلف الشعوب من قبل تلاشت بالكلية، بل حُرمت من حالة الحضارة الحقيقية[1]، ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].. وهكذا؛ فإن دعوات إبراهيم وإسماعيل ونبوءات موسى وعيسى وغيرهما، تحققّت في شخص الرسول ﷺ إلى أبد الآبدين).

ويقول الدكتور علي حسني الخربوطلي: (كان مولد الحضارة الإسلامية في مكة.. حين نزل الوحي على محمد ﷺ في غار حراء يبشّره بأنه رسول الله إلى العالمين، وأنه حامل لواء الحضارة الإسلامية في العالم أجمع)[2].

ثم يقرر أن الدين هو أساس الحضارة، والتاريخ يثبت أن المعرفة الإنسانية عبر العصور التاريخية، تقدمت وتطورت ونضجت، بتأثير الدين، فالدين خير مرشد للإنسان في طريق الحضارة، والنهضة، والتطور)[3].

وعن حاجة البشر في كمالهم النوعي في الدنيا وفي استعدادهم للحياة الأبدية، إلى هداية الرسالة، عقد الإمام محمد عبده فصلاً طويلاً في «رسالة التوحيد»، سلك فيها مسلكين؛ **أحدهما**: مبني على خلود النفس البشرية وكونها لا تزول من الوجود بالموت المعهود، وثانيهما: مأخوذ من طبيعة الإنسان في حياته الاجتماعية التي لا يقيم منها التعاون بين الأفراد ولا بين الجماعات إلا بالأخذ بتعاليم اعتقادية

---

(١) مولانا محمد علي (حياة محمد ﷺ ورسالته) ص ١٨/١٩ بتصرف وص ٥٢، ترجمة منير البعلبكي ط٢، دار العلم للملايين – بيروت سنة ١٩٦٧م.

(٢) (٣) د/ علي حسني الخربوطلي (الحضارة الإسلامية) ص ٥/٦ ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٧م.

وأدبية وعملية لا تختلف فيها الأهواء والشهوات؛ لأن الوازع فيها نفسي وجداني لصدورها عن الرب الحكيم العليم، بوحي أوحاه إلى من اختصه بهذا الفضل العظيم[1].

وقال الأستاذ الإمام محمد عبده: إن الإنسان بطبيعته النوعية بحاجة، إلى هداية الدين، وأنها هي الهداية الرابعة التي وهبها الله للإنسان بعد هداية الحواس والوجدان والعقل. فلم يكن العقل في عصر من عصوره كافيًا لهداية أمة من أممه ومرقيًا لها بدون معرفة الدين.

وقال الإمام رشيد رضا: وقد علّمنا التاريخ أنه لم تقم مدنية في الأرض من المدنيات التي وعاها وعرفها الإنسان إلا على أساس الدين، حتى مدنيات الأمم الوثنية كقدماء المصريين والكلدانيين واليونانيين.. وعلّمنا القرآن أنه ما من أمة إلا وقد خلا فيها نذير مرسل من الله عز وجل لهدايتها.

فنحن بهذا الرأي نرى أن تلك الديانات الوثنية كان لها أصل إلهي، ثم سرت الوثنية إلى أهلها.. وليس للبشر ديانة يحفظ التاريخ أصلها حفظًا تامًا إلا الديانة الإسلامية.

فاتباع الرسل وهداية الدين أساس كل مدنية؛ لأن الارتقاء المعنوي هو الذي يبعث على الارتقاء المادي. وها نحن أولاء نقرأ في كلام شيخ الفلاسفة الاجتماعيين في هذا العصر (هربرت سبنسر) أن آداب الأمم وفضائلها التي هي قوام مدنيتها مستندة كلها إلى الدين وقائمة على أساسه، وأن بعض العلماء يحاولون تحويلها من أساس الدين وبنائها على أساس العلم والعقل، وأن الأمم التي يجري فيها هذا التحويل لا بد أن تقع في طور التحويل في فوضى أدبية لا تعرف عاقبتها ولا يحدد ضررها. هذا معنى كلامه في بعض كتبه[2].

---

(١) تفسير القرآن الحكيم ط ٤ سنة ١٣٧٣هـ - المنار جـ١ ص ٢٢٢.

(٢) تفسير القرآن الحكيم، الشهير بتفسير (المنار) للأستاذ الإمام محمد عبده، وفيه صفوة ما قاله في دروسه - تأليف السيد محمد رشيد رضا، جـ٤ ص ٤٢٩ / ٤٣٠ ط، مكتبة القاهرة - ميدان الأزهر.

ولما كانت أمة الإسلام أمة رسالة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فقد أسهمت في تطوير الحضارة البشرية، وأثرت تاريخ الإنسان، ودفعت بالقيم الفاضلة إلى مدارج أعلى، ومفاهيم أنبل[١].

ويقول الدكتور محمد سلام مدكور: (وعندما بسط الإسلام جناحيه على الكون غذّى المسلمون بفضائلهم نقائص أعدائهم، وكان أثر مكارم أخلاقهم أمضى وأقوى أثراً من الحديد والنار.. وأصبح المثل الأعلى للأوروبي أن يتشبه بالعرب المسلمين في التفكير والمعيشة)[٢].

بالإضافة إلى التشريع الإسلامي الذي اتصف بالأصالة والقوة والصلاحية؛ مما جعل لامبير -وهو من فطاحل علماء أوروبا- يستصدر القرار من المؤتمر الدولي للقانون المقارن في لاهاي سنة ١٩٣٢ الذي ينص فيه على (اعتبار الشريعة الإسلامية مصدراً من مصادر التشريع العام، واعتبار الشريعة الإسلامية حية صالحة للتطور).. وقد علّق الدكتور مدكور على ذلك بقوله: (وقد ألبس الدين الإسلامي كل شيء من أمور المسلمين ثوب التشريع الذي تمّته الأجيال المتعاقبة؛ ليصبح منظماً للعلاقات الإنسانية تنظيماً دقيقاً. وكفلت تعاليمه إسعاد البشرية، وكفالة العيش لكل فرد في المجتمع)[٣].

ويؤيده الأستاذ العقاد في هذا الرأي، ويقرّر أن العقيدة الإسلامية صالحة لحياة الجماعة البشرية، وأن الجماعات التي تدين بها إنما تستمد حاجتها من الدين الذي لا غنى عنه، ثم لا تفوتها منه حاجتها إلى العلم والحضارة. ولا استعدادها لمجاراة الزمن حيثما اتجه مجراه.

(١) محمد جلال كشك (الغزو الفكري) ص ٨ ط الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة، مايو سنة ١٩٦٦م.

(٢) د/ محمد علي سلام مدكور (الإسلام وأثره في الثقافة العالمية)، نقلاً عن (الحضارة الإسلامية بأقلام غربية وعربية) تأليف عبد التواب يوسف ص ١٢٠، ط الدار المصرية اللبنانية ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

(٣) نفسه ص ١٢١/١٢٢.

ويرى أن الأخلاق المثلى في منطق الإسلام ترجع إلى المصدر الإلهي وحده؛ لأنها في مناطها الأعلى لا تتعلق بمنفعة المجتمع، ولا باستطاعة القوة، ولا بالقانون والسلطان، بل تتعلق فوق ذلك كله بما في الإنسان من حبّه للجمال، وشوقه إلى الكمال، وكلاهما نفحة من الخالق يهتدي بها الأحياء عامة في معارج الرفعة والارتقاء[١].

(٣) د/ محمد رجب البيومي (النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين) جـ١ ص ٥٤٨/٥٤٩، ط الدار الشامية – بيروت، ودار القلم –دمشق ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

فصل

الخصال التي أعطيها النبي ﷺ واختص بها وحده عن سائر الأنبياء عليهم السلام

شرح الإمام ابن حجر العسقلاني حديث الرسول ﷺ : «**أعطيت خمسًا لم يُعطهن أحد قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأينما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ، وأُحلت لي الغنائم ولم تحلَّ لأحد قبلي، وأُعطيتُ الشفاعة، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة، وبُعثت إلى الناس عامة**».

وبعد أن أفاض في شرح تلك الخصال، أضاف الإمام ابن حجر العسقلاني خصالاً أخرى، فقال تحت عنوان: (خصال أخرى أُعطيها ﷺ):

تكميل: أوّل حديث أبي هريرة هذا: «**فُضلت على الأنبياء بست**»، فذكر الخمس المذكورة في حديث جابر إلا الشفاعة، وزاد خصلتين هما: «**وأُعطيت جوامع الكلم، وخُتم بي النبيون**»، فتحصّل منه ومن حديث جابر سبع خصال. ولمسلم أيضًا من حديث حذيفة: «**فُضلنا على الناس بثلاث خصال: جُعلت صفوفنا كصفوف الملائكة**»، وذكر خصلة الأرض كما تقدم، قال: وذكر خصلة أخرى، وهذه الخصلة مبهمة بيّنها ابن خزيمة والنسائي وهي: «**وأُعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنزٍ تحت العرش**»، بشير إلى ما حطه الله عن أمته من الإصر وتحميل ما لا طاقة لها به، ورفع الخطأ والنسيان، فصارت الخصال تسعًا.

ولأحمد من حديث علي: «**أُعطيت أربعًا لم يُعطهن أحد من أنبياء الله: أُعطيت مفاتيح الأرض، وسُميتُ أحمد، وجُعلت أمتي خير الأمم**»، وذكر خصلة التراب (أي التيمّم)، فصارت الخصال تسعًا.

وعند البزار من وجه آخر عن أبي هريرة رفعه: «**فُضلت على الأنبياء بست: غُفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، وجُعلت أمتي خير الأمم، وأُعطيت الكوثر، وإنّ صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة، تحته آدم فمن دونه**»، وذكر ثنتين مما تقدم، وله من حديث ابن عباس رفعه: «**فُضلت على الأنبياء بخصلتين: كان شيطاني كافراً فأعانني الله عليه فأسلم**»، قال: ونسيت الأخرى.

قلتُ: (أي الإمام ابن حجر): فينتظم بهذا سبع عشرة خصلة، ويمكن أن يوجد أكثر من ذلك لمن أمعن التتبع، وقد تقدّم طريق الجمع بين هذه الروايات، وأنه لا تعارض فيها.

وقد ذكر أبو سعيد النيسابوري في كتاب «شرف المصطفى ﷺ» أن عدد الذي اختص به نبينا ﷺ عن الأنبياء ستون خصلة[1].

حاشية:

ويتضمن هذا الفصل الرد الكافي- بل المفحم- للمستشرقين على مزاعمهم بمحاولتهم الفاشلة لإيجاد صلات توهموها بين الإسلام وغيره من العقائد السائدة في الجاهلية!! (ينظر صفحتي ٩٢ و٩٣).

(١) الحافظ ابن حجر العسقلاني (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) جـ٢ ص ١٣٤، ١٣٥، تحقيق طه عبد الرءوف، ط دار الغد العربي بالعباسية ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، (وقد بدأ بشرح الحديث من صفحة رقم ١٣٠).

فصل

وفيما يتعلق بطاعته ﷺ أيضاً، خصّص القاضي عياض باباً لهذا الغرض نلخصه فيما يلي:

(وأوصي القراء بالاطلاع عليه، فقد جمع فيه من سبقه من الأئمة وتوفي سنة ٥٤٤هـ).

إن الإيمان بالنبي ﷺ واجب متعين لا يقوم إيمان إلا به، ولا يصلح إسلام إلا معه؛ ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ [الفتح: ١٣]، وقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ..﴾ [الفتح: ٨، ٩].

وفي حديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**» [أخرجه البخاري].

وأما وجوب اتباعه ﷺ وامتثال سنته والاقتداء بهديه فقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

قال محمد بن علي الترمذي: (الأسوة في الرسول: الاقتداء به، والاتباع لسنته، وترك مخالفته في قول أو فعل). وقال غير واحد من المفسرين بمعناه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد**» [أخرجه الطبراني].

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عمّاله بتعلُّم السنة والفرائض واللحن (أي اللغة) وقال: (إن ناساً يجادلونكم -يعني بالقرآن- فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله) [أخرجه مسلم].

وجاء في تفسير قوله ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، أنه الاقتداء برسول الله ﷺ. وأورد القاضي عياض الآيات والأحاديث التي تبين خطر مخالفة أمره ﷺ، منها قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أزيغ» [أخرجه البخاري][(١)].

وما أكثر الآيات القرآنية الآمرة بطاعته ﷺ واتباعه، نختار منها ما عدده الإمام الشافعي؛ إذ قال: (وضع الله رسوله ﷺ من دينه وفرضه وكتابه، الموضع الذي أبان -جل ثناؤه- أنه جعله علماً لدينه، بما افترض من طاعته، وحرّم من معصيته، وأبان من فضيلته، بما قرن من الإيمان برسوله ﷺ مع الإيمان به، فقال تبارك وتعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ [النساء: ١٧١]، وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ [النور: ٦٢]، فجعل كمال ابتداء الإيمان، الذي ما سواه تبع له: الإيمان بالله ثم رسوله ﷺ، فلو آمن عبد به، ولم يؤمن برسوله ﷺ لم يقع عليه اسم كمال الإيمان أبداً، حتى يؤمن بالله ورسوله ﷺ معه[(٢)].

كما فرض الله تعالى على الناس اتباع وحيه وسنن رسوله ﷺ، فقال في كتابه: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

---

(١) القاضي عياض (الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ) من ص ٣٨٧ إلى ص ٤٠٢ باختصار شديد، علماً بأن هذا الكتاب من أمهات كتب السيرة ويقع في سبعمائة صفحة من القطع الكبير.

(٢) الإمام المطلبي محمد بن إدريس الشافعي (الرسالة) ص ٢٠٥/٢٠٦ تحقيق وشرح الشيخ أحمد شاكر- دار الحديث بالقاهرة ١٤٣٦هـ-٢٠١٦م

وقال: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

وفسّر الإمام الشافعي الآية بقوله: فذكر الله الكتاب، وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: (الحكمة سنّة رسول الله ﷺ)[١].

وفي باب [فرض الله طاعة رسوله ﷺ مقرونة بطاعة الله، ومذكوره وحدها]..
ذكر الإمام الشافعي الآيات القرآنية الدالة على ذلك، منها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأنفال: ٢٠][٢].

وفي باب [ما أمر الله من طاعة رسول الله ﷺ]

عدّد الإمام الشافعي الآيات القرآنية المتصلة بذلك، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠].

وقال -جل ثناؤه-: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وأعلمهم أن بيعتهم رسوله ﷺ بيعته، وكذلك أعلمهم أن طاعتهم طاعته)[٣].

---

(١) نفسه ص ٢٠٨

(٢) نفسه ص ٢١١.

(٣) نفسه ص ٢١٣.

ومن الآيات القرآنية أيضًا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣].

وفي تفسير هذه الآية، يقول الشيخ السعدي: (أمر تعالى المؤمنين بأمر، به تتم وتحصل سعادتهم الدينية والدنيوية، وهو طاعته وطاعة رسوله ﷺ في أصول الدين وفروعه، والطاعة هي امتثال الأوامر واجتناب النهي على الوجه المأمور به بالإخلاص وتمام المتابعة)(١).

ويذكر المؤرخ عبد الحميد صديقي أن المسلمين جميعًا مطالبون بالتأسي بالرسول ﷺ، ولا يتعارض ذلك مع تغير الأزمنة والعصور؛ لأن الاقتداء به ﷺ يتصل بعقائد الإنسان المسلم وعباداته وسلوكياته كإنسان يحتاج إلى أسوة في طريق اجتيازه للحياة الدنيا ؛ (فالحوافز الإنسانية لم تزل نفسها اليوم كما كانت منذ فجر الحضارة الإنسانية، فالغرائز التي هي محور عمل الإنسان لم تزل باقية كما كانت، بالرغم من أن مجال النشاط الإنساني قد اتسع، وصفات الإيثار والشرف والصدق والشجاعة المستحبة تنال من الاحترام اليوم ما كانت تناله منذ القدم)(٢).

وينفرد وحده ﷺ بأنه ضرب المثل الأعلى في السلوك الإنساني كافة، وقدّم الحلول المناسبة لجميع ما نتعرض له من أزمات كأفراد ومجتمعات وأمة، وفي شتى

---

(١) عبد الرحمن السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ص ٧٥٩ .

(٢) عبد الحميد صديقي (تفسير التاريخ) ص ١٤٥، ترجمة د/ كاظم الحواري ، ط دار العلم بالكويت ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

وعندما ثار الشعب التركي على الإجراءات التي قام بها لهدم الخلافة وحرب الإسلام وتغريب تركيا بأكملها، مثل إلغاء الطربوش وحجاب المرأة وإلغاء وزارة الأوقاف والمدارس الدينية وجعل الأحد العطلة الأسبوعية بدلاً من يوم الجمعة وإلغاء الحروف العربية.. إلخ.. عندما ثار الشعب دفاعًا عن دينه قام أتاتورك وأعوانه بسحق الثورة بوحشية بالغة القسوة.. وتم تشكيل محاكم ثورية متنقلة، تقوم بإعدام المعارضين في محاكمات هزلية صورية.. وسقط أكثر من نصف مليون شهيد!!

هذا، وقد كان أتاتورك وأتباعه غافلين تمامًا عن وعيد الله عز وجل الشديد بقوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

العلاقات وجميع المواقف، كذلك اتخاذه ﷺ الأسوة يعصم الأمة الإسلامية من الافتتان بكل ناعق كغيرهم من الشعوب التي يُراد لها اتباع زعماء مصنوعين ومُروّج لهم بأجهزة الإعلام الجهنمية التي تتحكم فيها أجهزة المخابرات الأجنبية لتلقي بتلك الشعوب إلى حتفها بشتّى صور الخداع والمكر!!(١).

كذلك فإن الحرص على اتباعه ﷺ في السمت الظاهر-الذي لم نعد نلقي إليه بالاً (إلا من رحم ربك)-مع موجة التقليد العصرية الغالبة، هذا الاتباع أيضاً له دوره الكبير في المحافظة على الهوية الإسلامية المتميزة.

والدليل على ذلك تلك الكلمة التي قالها بسمارك لغليوم الثاني لما كان ولي عهد الإمبراطورية الألمانية حينما أرسله إلى روسيا ليمثل ألمانيا في إحدى المناسبات، قال: (إنك ذاهب إلى بلاد شرقية، فإذا رأيت الشرقي المتمسّك بزيّه الأصلي فاعلم أنه لا يزال على ميراث من فطرة الشرق وأصالته، وإذا رأيت الشرقي الذي لبس البنطلون تقليداً للغرب فاعلم أنه فقد مواريثه في الفضائل، ولم يكتسب أخلاق الغرب وفضائله)(٢).

ولمعرفة قيمة هذا السمت ودوره المهم، حرص (بطرس الأكبر) على محوه؛ إذ أكره المسلمين على حلق اللحى، وحرّم عليهم ارتداء القفاطين.. وفي ظروف مماثلة في العداء للإسلام والمسلمين -مع مخالفة الطريقة التي اتبعها بطرس- أصدر أتاتورك (اليهودي من طائفة «الدونمة» قانوناً عامًّا سنة ١٩٢٥ فرض به على جميع الأتراك ارتداء القبعة ذات الحافة(٣).

---

(١) ومثال ذلك «أتاتورك» الذي قمع الإسلام في تركيا لحساب الصهيونية والصليبية المعاصرة!

(٢) محيي الدين الخطيب (منهج الثقافة الإسلامية) ص ١٩، هدية من مجلة التوحيد، ذو الحجة ١٤١٩هـ.

(٣) أرنولد توينبي: موجز تاريخ العالم جـ٢ ص ٤٠٢ .

فصل

أداؤه الرسالة وصبره على الإيذاء وجهاده ﷺ

وما إن سمع الوحي بقوله: ﴿ يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَلاَ تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ ومنذ ذلك الوقت ظهر له ما يُراد به، فلم يكن ما جاء به في الغار إلا إيذانًا له بأن له مهمة ثقيلة خطيرة قد أُلقيت على عاتقه، وأن عليه أن يؤديها صبوراً جلداً محتملاً في سبيل أدائها ما قد يعرض له من العنت والمشقة والأذى.. (١).

وقد رأى رسول الله ﷺ كثيراً من الأذى وعظيم الشدة، وكان أولهم وأشدهم أبو جهل.. وعقبة بن أبي معيط.. وأبو لهب بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ، كان أشد عليه من الأباعد.. والعاص بن وائل والد عمرو بن العاص، كان شديد العداوة لرسول الله ﷺ(٢).

ولم تدّخر قريش وسعًا في حرب النبي ﷺ، وفي الحوْل بينه وبين الإيمان برسالته، وقد استعانت على ذلك باليهود.. واختارت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط لهذه المهمة، وبعثت بهما إلى أحبار اليهود بالمدينة ليقولوا لهم في رسول الله ﷺ قولاً يصرفون الناس به عن الإيمان برسالته وما جاء به(٣).

وكان جواب يهود المدينة على رسل قريش، كما يقول ابن هشام في مختصره لسيرة ابن إسحاق والبيهقي في دلائل النبوة: (فقالت لهم أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نامركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقوّل: سلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه، وسلوه عن الروح ما هي؟ فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبي، وإن لم يفعل فهو رجل متقوّل، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم)(٤).

(١) د/طه حسين (مرآة الإسلام) ص ٤٠/٤١ ط دار المعارف سنة ١٩٥٩م.

(٢) الشيخ محمد الخضري (نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ﷺ) ص ٣٩ وما بعدها باختصار، ط ٢٤ المكتبة التجارية الكبرى سنة ١٩٧٨م.

(٣) د/ أحمد عطية (التحديات الفكرية في ضوء النبوة) ص ٨٥ كتاب (المجلة العربية)، الرياض، العدد ٥٤٠ صفر ١٤٤٣هـ-سبتمبر ٢٠٢١م.

(٤) نفسه ص ٨٧.

ويعلّق الدكتور أحمد عطية على ذلك بقوله: (إن دراسة تلك الحروب الفكرية في صدر الإسلام تعكس أول ما تعكس تلك المخططات الكبرى التي كانت تحاك ليلاً لصدّ الناس عن الإسلام ورسوله ﷺ، وهي ما زالت حتى الآن في طورها المستمر لن تنقطع إلى قيام الساعة. وأن العدو لن يتوقف عن استعمال الأسلحة الرخيصة والدنيئة لتشويه صورة الإسلام ودفع الناس عنه، وما دعاوى الإرهاب التي انطلقت في الغرب وصدّرها إلى الشرق إلا من هذا اللون من الأسلحة)(١).

ولا شك أن الاستشراق له دوره الكبير أيضًا في هذه المخططات! وما أكثر ما تعرّض له الرسول ﷺ وصحابته رضي الله عنهم من صنوف الأذى، ومنها حين حوصروا سنة سبع من البعثة وتكاتف المشركون على مقاطعتهم وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في سقف الكعبة.

وبعد عشرة أعوام من المبعث، مات أبو طالب بعد ذلك بستة أشهر، وماتت خديجة بعده بثلاثة أيام.. ولما نقضت الصحيفة اشتد البلاء على رسول الله ﷺ من سفهاء قومه، وتجرؤوا عليه، فكاشفوه بالأذى، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف رجاء أن يؤووه وينصروه على قومه، ودعاهم إلى الله عز وجل.. ولكن آذوه أشد الأذى، ونالوا منه ما لم ينله من قومه.. فأقام بينهم عشرة أيام لا يدع أحداً من أشرافهم إلا جاءه وكلّمه، فقالوا: اخرج من بلدنا، وأغروا بهم سفهاءهم، فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى دميت قدماه، وزيد بن حارثة مولاه يقيه بنفسه حتى أصابه شجاج في رأسه، فانصرف راجعاً من الطائف إلى مكة محزوناً، وفي مرجعه ذلك دعا بالدعاء المشهور، دعاء الطائف: **«إلهي! إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني، أو إلى عدوٍ ملّكته أمري، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن يحلّ علي غضبك، أو ينزل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك»** (السيرة

(١) نفسه ص ٨٢/ ٨٣.

لابن هشام)، فأرسل ربه تبارك وتعالى إليه ملك الجبال يتأمره أن يطبق الأخشبين على أهل مكة، وهما الجبلاها اللذان هي بينهما، فقال: «**لا، بل أستاني بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده ولا يشرك به شيئًا**» (البخاري ومسلم)[1].

---

(١) ابن القيم (زاد المعاد في هدي خير العباد ﷺ) ص ٤٣٢/ ٤٣٣ باختصار، روى ابن هشام ما لقي رسول الله ﷺ من قومه قريش من الأذى، ولعل أشدها قسوة كتابة (الصحيفة) التي تعاقدوا فيها على بني هاشم وبني عبد المطلب؛ «على ألا ينكحوا إليهم ولا يُنكحوهم، ولا يبيعوهم شيئًا ولا يبتاعوا منهم...»، وعلّقوا الصحيفة في جوف الكعبة.. ولكن رق قلب خمسة رجال وأجمعوا على نقضها وهم: هشام بن عمرو وزهير بن أبي أمية والمطعم بن عدي والبختري بن هشام وزمعة بن الأسود؛ حيث أجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها.. وقام زهير بن أمية فقال: يا أهل مكة، أنأكل الطعام ونلبس الثياب، وبنو هاشم هلكى لا يبتاعون ولا يُبتاع منهم !والله لا أقعد حتى تُشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة.

قال أبو جهل: كذبت والله لا تُشق، قال زمعة بن الأسود: أنت والله أكذب، ما رضينا كتابتها حيث كتبت.. وقام المطعم إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا «باسمك اللهم»، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة، فشلّت يده فيما يزعمون، ط دار المعرفة -بيروت ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

فصل

في هديه ﷺ في الجهاد والمغازي والسرايا والبعوث

عقد الإمام ابن القيم هذا الفصل مبيناً طبيعة الجهاد كذروة سنام الإسلام ومنازل أهله أعلى المنازل في الجنة كما لهم الرفعة في الدنيا، فهم الأعلون في الدنيا والآخرة، فكان رسول الله ﷺ في الذروة العليا منه، واستولى على أنواعه كلها، فجاهد في الله حق جهاده: بالقلب، والجنان، والدعوة والبيان، والسيف، والسنان، وكانت ساعاته موقوفة على الجهاد: بقلبه ولسانه ويده؛ولهذا كان أرفع العالمين ذكراً وأعظمهم عند الله قدراً، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ [التوبة: ٧٣]، فجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار.

ولما كان جهاد أعداء الله في الخارج فرعًا على جهاد العبد لنفسه في ذات الله، كما قال ﷺ: «**المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**» (رواه أحمد والحاكم)، كان جهاد النفس مقدمًا على جهاد العدو في الخارج وأصلاً له.

وكان يرتب الجيش والمقاتلة.. وكان يلبس للحرب عدته.. وكان إذا لقى العدو قال: «**اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم**» [البخاري ومسلم].

وكان إذا اشتد له بأس وحمى الحرب، وقصده العدو يعلم نفسه ويقول: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب» [البخاري ومسلم][(١)].

أولاً: في غزوة (أحد) أصابه شدائد عظيمة تحمّلها بما أعطاه الله من الثبات، فقد أقبل أُبي بن خلف يريد قتله، فأخذ عليه السلام الحربة ممن كانوا معه وقال: «**خلوا طريقه**»، فلما قرب منه ضربه ضربة كانت سبب هلاكه وهو راجع، ولم يقتل

---

(١) ابن القيم (زاد المعاد في هدي خير العباد ﷺ) ص ٤٢٠/٤٢١ وص ٤٥٥/٤٥٩ باختصار، تحقيق د/خليل شيحا - دار المعرفة بيروت ط ٢، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، وهو كتاب موسوعي يقع في ١٣٦٤ صفحة من القطع الكبير.

رسول الله ﷺ غيره لا في هذه الغزوة ولا في غيرها.. ووقع الرسول ﷺ في حفرة فاغمي عليه وخدشت ركبتاه.. ورماه عتبة بن أبي وقاص بحجر كسر رباعيته.. وشج وجهه عليه السلام عبد الله الزهري، وجُرحت وجنتاه بسبب دخول حلقتي المغفر فيهما من ضربة ضربه بها ابن قميئة.. فجاء أبو عبيدة وعالج الحلقتين حتى نزعهما فكسرت في ذلك ثنتاه وقال حينئذ عليه الصلاة والسلام: «**كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم؟**» فأنزل الله تعالى في سورة آل عمران ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٢٨](١).

ثم أتبعها غزوة **حمراء الأسد**؛ إذ لما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة أصبح حذراً من رجوع المشركين إلى المدينة ليتمموا انتصارهم، فنادى في أصحابه بالخروج خلف العدو، فاستجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح، فضمدوا جراحهم.. وسار الجيش حتى وصلوا إلى حمراء الأسد (موضع ثلاثة أميال من المدينة)، وقد كان ما ظنّه الرسول ﷺ حقًّا.. إذ أصرّ المشركون على شن غارة على المدينة، ولكن لما بلغهم خروج الرسول ﷺ في أثرهم.. وألقى الرعب في قلوبهم فتمادوا في سيرهم إلى مكة(٢).

وقد نزل في معركة أحد من آي الذكر الحكيم من سورة آل عمران ما يثبت عزم المسلمين ويقوّي يقينهم ويحذرهم مما لا يليق بهم من الفرار، أما أعداء الله تعالى.. فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٠]، قال تعالى: ﴿**إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٠]، ﴿**وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤١].

---

(١) الشيخ محمد الخضري (نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ﷺ) ص ١٣٩ ط ٢٤ / المكتبة التجارية ١٩٧٨م.

(٢) نفسه ص ١٤٢ / ١٤٣ باختصار.

وفي تعليق زميلنا الفاضل الدكتور عبد الرحمن سالم، قال: (لقد كان يوم أحد -يوم بلاء وتمحيص- كما يقول ابن إسحاق، ولا شك أن المسلمين استفادوا من دروسه العميقة أعظم الفائدة، فقد عرفوا أن الحرص على حطام الدنيا لا ينبغي أن يلابس جهادهم في سبيل الله، وإلا كانت النتائج وخيمة، كما أدركوا تماماً أن عدم الالتزام بأوامر القائد يوردهم موارد الهلاك. ثم إنهم فهموا قيمة الاستبسال دفاعاً عن العقيدة، فقد استبسلوا في بدر -رغم قلتهم- وكلل الله جهادهم بالنصر، ولكنهم تخاذلوا في أحد فانتهوا إلى الهزيمة. لقد استوعب المسلمون كل هذه الدروس من محنة الهزيمة في أحد، وعرف الرسول ﷺ ذلك من أصحابه؛ ولهذا قال: «**لن ينالوا منا مثلها حتى تستلموا الركن**» -ما روى الواقدي في المغازي- أي أن قريشاً لن تلحق بالمسلمين هزيمة بعدها حتى يفتحوا مكة)(١).

ثانياً: غزوة الأحزاب:

وقد تضافرت صنوف الابتلاء والشدائد والمحن كلها في **غزوة الأحزاب (أو الخندق)**؛ حيث تكاتفت قريش وغطفان وبنو سليم في نحو عشرة آلاف، بتحريض اليهود على غزو الرسول ﷺ ووعدوهم من أنفسهم بالنصر، ثم نجح النفاق، واستأذن بعض بني حارثة رسول الله ﷺ في الذهاب إلى المدينة وقالوا إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً(٢)، ونقض اليهود العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ؛ بانضمامهم إلى الأحزاب من قريش، وأصبح موقف المسلمين وهم محاصرون في المدينة في غاية الحرج.. وقد صور القرآن الكريم هذا الموقف في قوله تعالى: ﴿**إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا**﴾ [الأحزاب: ١٠-١١].

(١) د/ عبد الرحمن احمد سالم (الرسول ﷺ -حياته وتطور الدعوة الإسلامية في عصره) ص ١٤٣/١٤٤ ط دار الفكر العربي بالقاهرة ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٧٤ ابن القيم (زاد المعاد في هدي خير العباد ﷺ) جـ٢ ص ١٧٠ باختصار، ط دار الريان بالقاهرة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

كذلك تعرّض الرسول ﷺ للاغتيال بواسطة اليهود؛ بإلقاء حجر عليه وهو قاعد جنب جدار من ديارهم، ولكن الله تعالى نجّاه(١).

هذا، وقد لخّص أبو زكريا الفراء ٢٠٧هـ ما حدث في بضعة سطور تحت عنوان: (نصر الله المؤمنين، وشك بعض ضعاف الإيمان، وقصة معتب بن بشير الأنصاري مع رسول الله ﷺ: قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩].

يريد: وأرسلنا جنوداً لم تروها من الملائكة.

وهذا يوم الخندق وهو يوم الأحزاب.

وقوله: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٠] مما يلي مكة.

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ مما يلي المدينة.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ زاغت عن كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوها. وقوله: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ ذكر أن الرجل منهم كانت تنتفخ رئته حتى ترفع قلبه إلى حنجرته من الفزع، وقوله: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ ظنون المنافقين.

ثم قال الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١١]. يقول حُرّكوا تحريكًا إلى الفتنة فعصوا.

وقال تعالى: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢].

وهذا قول معتب ابن بشير الأنصاري وحده. ذكروا أن رسول الله ﷺ أخذ معولاً من سلمان في صخرة اشتدت عليهم، فضرب ثلاث ضربات، مع كل واحدة كلمع البرق. فقال سلمان: والله يا رسول الله منهن عجبًا قال: فقال النبي عليه

(١) د/ عبد الرحمن سالم (الرسول ﷺ -حياته وتطور الدعوة الإسلامية في عصره) ص ١٦٨/١٦٩ باختصار، دار الفكر العربي -العباسية ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

الصلاة والسلام: «**لقد رأيت في الضربة الأولى أبيض المدائن (من مدن فارس)، وفي الثانية قصور اليمن، وفي الثالثة فارس والروم، وليفتحَن الله على أمتي مبلغ مَدَاهنّ**». فقال معتب حين رأي الأحزاب: (أيعدنا محمد ﷺ أن يفتح لنا فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يضرب الخلاء فرقًا (أي خوفًا)، ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورًا)(١).

ومما يتصل بهذه الغزوة ووقعها على نفوس الصحابة، ما رواه الإمام البخاري عن جابر بن عبد الله قال: جاء عمر يوم الخندق فجعل يسبّ كفار قريش ويقول: يا رسول الله، ما صليت العصر حتى كادت الشمس أن تغيب، فقال النبي ﷺ: «**وأنا والله ما صليتها بعد**»، قال: فنزل إلى بُطحان فتوضأ وصلى العصر بعد ما غابت الشمس ثم صلى المغرب بعدها، وقد عرض الإمام ابن حجر العسقلاني لهذا الحديث تحت عنوان: [سبب تأخير الصلاة يوم الخندق]، مرجّحًا أن صلاة الخوف أُنزلت بعد الخندق(٢).

ثم جاء نصر الله عز وجل وانتهت الغزوة.. ويصوّر لنا ابن هشام في النهاية على لسان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه؛ إذ قال: (والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق، وصل رسول الله ﷺ هويًا من الليل (أي قطعة منه) ثم التفت إلينا فقال: «**من رجل يقوم فينظر ما فعل القوم ثم يرجع-يشرط له رسول الله ﷺ الرجعة- أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة؟**»، فما قام رجل من القوم، من شدة الخوف، وشدة الجوع، وشدة البرد. فلمّا لم يقم أحد دعاني رسول الله ﷺ فلم يكن لي بدٌّ من القيام حين دعاني، فقال: «**يا حذيفة! اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يصنعون، ولا تحدثن شيئًا حتى تأتينا!**»، فذهبت فدخلت في القوم

---

(١) أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (معاني القرآن) ص ٢٨٨، إعداد ودراسة د/ إبراهيم الدسوقي عبد العزيز، إشراف ومراجعة د/ عبد الصبور شاهين، ط مركز الأهرام -سلسلة «تقريب التراث» ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

(٢) الحافظ ابن حجر العسقلاني (فتح الباري بشرح البخاري) مجلد ٣ ص ٤٢٦ ط دار الغد العربي ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تقدّ لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً، فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش! لينظر امرؤ من جليسه؟ قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل كان إلى جنبي، فقلت: من أنت؟ قال: فلان بن فلان. ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش! إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخفّ، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل)(١).

وبعد، فهذه نبذة في غاية الاختصار من السيرة العطرة، لعلها تصبح دافعاً للأجيال الشابة للاستزادة منها، فتعوّض ما حدث لها من تفريغ عقولها من زادها الثقافي الإسلامي في عصر الاستعمار العسكري، الذي فرض في نظام التعليم دراسة حضارته وثقافته وتاريخه!!

ومجمل القول: لقد كانت حياة النبي ﷺ جهاداً كلها، فهو يجاهد المشركين من قريش والمشركين من العرب، ويجاهد اليهود في المدينة وخارج المدينة، ثم يجاهد المنافقين الذين يظهرون أنهم أولياء وليسوا من ولاية في شيء، وإنما هم أولياء أعدائه من المشركين واليهود(٢).

كان اليهود خطراً أيام السلم، وكانوا أشد خطراً أيام الحرب، وكانوا حين يجدّ الجدُّ لا يجدون حرجاً ولا حياء في أن يظهروا الجبن وما يستتبع الجبن من انخلاع القلوب واضطراب النفوس وضمور العزائم وفتور الهمم وانهيار الصبر على المقاومة(٣).

إن هذا الجهاد المتصل المختلف كان جديراً أن يستغرق حياة النبي ﷺ كلها، وأن يشغله عن كل شيء غيره.. ولكن دراسة سيرته ﷺ الكاملة تبين أن الجهاد

(١) عبد السلام محمد هارون (تهذيب ابن هشام) ص ١٤٦، مكتبة القرآن -عابدين- القاهرة سنة ١٩٩٦م. تاريخ المقدمة: منتصف رمضان سنة ١٣٧٤هـ.

(٢) د/ طه حسين (مرآة الإسلام) ص ١١٤ ط دار المعارف سنة ١٩٥٩م.

(٣) نفسه ص ١٠١/١٠٢.

لم يستغرق من حياته إلا بعضها.. وأنه أنفق سائرها ناشراً للدين معلماً للمؤمنين والمسلمين، مبيناً لهم حقائق دينهم، مرشداً لهم إلى ما يجب عليهم وما لا ينبغي لهم في سيرتهم من خطر الأمر ويسيره[1].

أما تقويم سيرة الرسول ﷺ من الوجهة العسكرية والسياسية، فقد أبدى د/ مراد هوفمان دهشته الكبرى عندما درس كتابيْ (سيرة ابن إسحاق) وكتاب (محمد ﷺ -حياته مستقاة من الوثائق) وهو كتاب حديث لمؤلفه مارتن لينجز (نيويورك ١٩٨٣م).

ويذكر د/هوفمان أنه إذا ما تحررنا من تأثير النزعة إلى الحكم على المسائل باعتبارها معجزات، فإن أعمال الرسول ﷺ خلال الفترة الواقعة ما بين هجرته إلى المدينة، وفتحه السلمي لمكة بعد ذلك بعقد من الزمان، هذه الأعمال أثبتت أنه عسكري قد لا يقل مرتبة عن (كارل فون كلاوزفيتز)؛ حيث استطاع ﷺ أن يطبّق بذلك قواعد الحرب الاقتصادية والنفسية، وأن يستخدم مفاوضات الحدّ من التسلح كأداة للسياسة الخارجية. وكان قبوله للهدنة في الحديبية، والذي أثار مخاوف أصحابه، مناورة دبلوماسية من الطراز الأول؛ إذ سرعان ما أدرك أهل مكة أنهم قد وقّعوا بأنفسهم على صك استسلام مستقبلاً.

وبنفس البراعة أملى ﷺ دستور وحدة المدينة؛ ليكون بمثابة معاهدة فيدرالية بين المجتمعيْن: المسلم واليهودي.

أضف إلى ذلك نجاحه ﷺ في التجارة، وحلمه كقاض، ومحكّم، وقدرته الخطابية وبلاغته.. وينتهي د/ هوفمان من ذلك كله إلى القول بأن: (المرء سرعان ما يجد نفسه عاجزاً عن تفسير كيف تسنّى لذلك العربي، المحروم من التعليم، الأمّي، الذي ينتمي إلى مجتمع متخلّف، أن يتمتع بكل هذه الصفات؟! هناك شيء غريب في هذا الأمر، هناك شيء إلهي في هذا الأمر)[2]!!

---

(١) نفسه ص ١١٤.

(٢) مراد هوفمان (يوميات ألماني مسلم) ص ١٣١، ترجمة د/ عباس العماري - ط مركز الأهرام سنة ١٩٩٣م.

علم السنة:

ونحن نجد هذه العبارات المجملة مفصلة أيضًا عند ابن الوزير اليماني؛ إذ يقول (علّمهم -ﷺ- أركان الإسلام وشرائعه وفرائضه ونوافله.. وكما وصفه رب العالمين؛ حيث قال في كتابه المبين: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾، فلم يزل عليه الصلاة والسلام يرشدهم إلى أفضل الأعمال، ويهديهم إلى أحسن الأخلاق، ويلزمهم ما فيه النجاة والفوز في الآخرة والسلامة والغبطة في الدنيا.. فلم يترك خيرًا قط إلا أمرهم به ففعلوه.. فلمّا تم ما أراد الله تعالى برسوله من هداية أهل الإسلام، وبلغ إلى الأنام جميع ما عنده من الأحكام، بيّن العقائد والآداب والحلال والحرام، أنزل الله تعالى تنصيصًا وتبيانًا، قال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾[1].

ثم يصف ابن الوزير اليماني علم السنّة بأنه علم الصدر الأول، الذي عليه بعد القرآن المعوّل، وهو لعلوم الإسلام أصل وأساس، وهو المفسّر للقرآن بشهادة: ﴿**لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ**﴾، وهو الذي قال الله فيه تصريحًا: ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾، وهو الذي وصفه الصادق الأمين، بمماثلة القرآن المبين؛ حيث قال ﷺ «**إني أوتيت القرآن ومثله معه**».. وهو العلم الذي يرجع إليه الأصولي وإن برز في علمه، والفقيه وإن برز في ذكائه وفهمه، والنحوي وإن برز في تجويد لفظه، واللغوي وإن اتسع في حفظه، والواعظ والمفسر... كلهم إليه راجعون. ثم يلخص ذلك كله بقوله: (فالكلام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو كلام الله الحكيم، وكلام من شهد بعصمة القرآن الكريم، وكل كلام بعد ذلك فله خطأ وصواب)[2]، كذلك ما قيل فيه من أشعار الحكمة.

(١) أبو عبد الله السيد محمد بن إبراهيم الوزير (الروض الباسم في الذبّ عن سنة أبي القاسم ﷺ) جـ١ ص ٥ (٧٧٥-٨٤٠هـ)، الناشر: قصي محب الدين الخطيب - المطبعة السلفية ١٣٨٥هـ، مجلد يحتوي على جزأين يقع في نحو ٣٠٠ صفحة من القطع الكبير.

(٢) نفسه ص ٥/٦ / ١١ باختصار.

منها قول الحافظ الحميدي:

تاب الله عــز وجل قــولى ... ومــا صــحّت به الآثار ديني

وقول الشيرازي:

عليك بأصحاب الحديث فإنهم ... على منهج ما زال بالدين معلما

ومـا النور إلا في الحـديث وأهله ... إذا ما دجى الليل البهيم وأظلما

وقول الأربلي:

إذا شـئت أن تتـوخى الهـدى ... وأن تـأتـي الحـق مـن بـابـه

فـدع كل قـول ومن قـالـه ... لقــول النبي وأصــحــابه

وقول الذهبي:

العلم قـال الله قـال رسـولـه ... إن صحّ والإجماع فاجـهـد فيـه

وحذار من نصب الخلاف جهالة ... بين النبي وبين رأي فـقـيـه

وقول بعضهم:

دين النبي مـحـمـد أخـبـار ... نعم المطيـة للفـتى آثار

لا ترغبنّ عن الحـديث وأهله ... فـالرأي ليل والحـديث نهـار(١)

هذا، ويصنّف ابن تيمية كتب الحديث بقوله: (وصُنفت كتب الحديث تارة على المسانيد، فتذكر ما أسنده الصاحب من رسول الله ﷺ كمسند أحمد، وإسحاق، وأبي داود الطيالسي، وأبي بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن أبي عمر، والعدني، وأحمد بن منيع، وأبي يعلى الموصلي، وأبي بكر البزّار المصري، وغيرهم.

وتارة على الأبواب: فمنهم من قصد مقصده الصحيح كالبخاري ومسلم، وابن خزيمة وأبو حاتم وغيرهم، وكذلك من خرّج على الصحيحين، كالاسماعيلي،

(١) نفسه ص ٦/٧ باختصار.

والبرقاني، وأبي نعيم وغيره.. ثم يصدر حكمه مقرّراً أن هذا العلم من أعظم علوم الإسلام.. ولكن أهل المعتزلة والخوارج مقصّرون في معرفته.. والمعتزلة فيهم من يكذب وفيهم من يصدق (لكن ليس لهم من العناية بالحديث ومعرفته ما لأهل الحديث والسنة، فإن هؤلاء يتدينون به فيحتاجون إلى أن يعرفوا ما هو الصدق)[1].

(١) ابن تيمية (منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية) جـ٧ ص ٢١ / ٢٢، دار الحديث بالقاهرة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

فصل

رسول الله ﷺ هو الأسوة الكاملة

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

وإذا كانت أخلاق الإنسان هي المرآة الصافية لسيرته، فها هو القرآن الكريم يشهد لمحمد صلوات الله عليه بأنه قد تحلّى بمكارم الأخلاق، وأنه أرفع قدراً، وأعلى مكانة من سائر البشر لما هو عليه من جليل الأعمال، وقويم الأخلاق؛ لذا فقد أذاع بين أولياء الرسول ﷺ وأعدائه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(١).

وهناك من الصفات الخاصة التي وصف بها الرسول ﷺ، مثل قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.

وهي شهادة على صفاته في الرحمة والرأفة، كما قال الله عز وجل فيه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾، وفي هاتين الآيتين قد وصفه ربه بما وصف نفسه(٢).

ثم هناك شهادات زوجاته وأصحابه. ومن المعروف أن الزوجة أعرف من غيرها بصفات زوجها وأخلاقه، وها هي السيدة خديجة رضي الله عنها عندما أخبرها بخبر الوحي، صدّقته وآمنت به، وأدخلت الطمأنينة على قلبه بقولها: (إن الله لا يخذلك، فإنك تصل الرحم، وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، وتنصر المظلوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق).

وفي وصف السيدة عائشة رضي الله عنها له: (أنه لم يكن يعيب أحداً، ولا يجزي على السوء بسوء، بل كان يعفو ويصفح، وكان بعيداً عن السيئات، وأنه لم ينتقم من أحد لنفسه، ولم يضرب غلاماً ولا أمَةً ولا خادماً قط، بل لم يضرب حيواناً، ولم يرد سائلاً إلا إذا لم يكن عنده شيء)(٣).

(١) الرسالة المحمدية: سليمان الندوي ص ١٠٤.

(٢) الوحي المحمدي: محمد رشيد رضا ص ١١٤ المطبعة السلفية.

(٣) نفسه ص ١٠٧.

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: (خدمته عشر سنين، فما قال لي أف قط، ولا قال لشيء فعلته لمَ فعلته، ولا لشيء لم أفعله ألا فعلت كذا؟)[١].

الذي يحمده أهل السماء، وأهل الأرض، وأهل الدنيا والآخرة؛ لكثرة خصائله المحمودة التي تفوق عدد العادّين وإحصاء المحصين)[٢].

وإن كل من قرأ عن سيرته ﷺ، ليتفق في الرأي مع ابن القيم بلا أدنى تردد، فمن المسلّم به أن الباحث ليعجز أن يجمع في هذا الحيز الضيق من الكتاب كل فضائله وأخلاقه التي تجلّ عن الوصف والإحصاء، ولكن لا بأس من أن نذكر بعض محاسن الأخلاق، التي نوجزها، كما فعل المقدسي بوصفه بأنه: (كان رسول الله ﷺ أحلم الناس وأسخى الناس وأعطف الناس، وكان يخصف النعل ويرقّع الثوب ويخدم في مهنة أهله.. وكان يجيب دعوة المملوك، ويعود المرضى.. ولم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام تباعًا.. لا يجفو على أحد، ويقبل معذرة المعتذر إليه، يمزح ولا يقول إلا حقًّا، لا يمضي عليه وقت في غير عمل لله تعالى، وما ضرب أحدًا بيده قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما انتقم لنفسه إلا أن تُنتهك حرمات الله، وما خيّر بين شيئين إلا اختار أيسرهما، إلا أن يكون مأثمًا أو قطيعة رحم، فيكون أبعد الناس منه.. إلخ)[٣].

وعلينا أن ننظر في القرآن لنستخرج الآيات التي تدلّ على أن كل ما جاء به قد امتثله الرسول ﷺ ومثّله للناس بفعله وبيّنه بقوله، أي أن كافة أفعاله وأقواله مستمدة من القرآن؛ فما (من حكم أو توجيه في القرآن إلا وقد بيّنه الرسول ﷺ للناس بقوله وعمله وخلقه هديًا وسمتًا)[٤]، فمن حيث الأقوال فإن هذا معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾، ومن حيث خلقه، فقد أوجزته السيدة عائشة رضي الله عنها عندما سألها بعض الصحابة أن تصف

(١) مختصر منهاج القاصدين: المقدسي ص ١٤٤ والحديث متفق عليه.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد. ابن القيم جـ١ ص ٢٢.

(٣) مختصر منهاج القاصدين: المقدسي ص ١٤٣-١٤٤.

(٤) الرسالة المحمدية: سليمان الندوي ص ١٠٦ المطبعة السلفية.

لهم أخلاق رسول الله ﷺ وتصرفاته، فأجابتهم: (ألم تقرأوا القرآن الكريم؟ لقد كان خلق رسول الله ﷺ القرآن)، وهكذا نفهم من عبارتها، على إيجازها وعمقها، أنه إذا كانت آيات القرآن وسوره أصوات وكلمات، فإن عمل الرسول ﷺ وخلقه معانيها وتفسيرها(١).

ومن حيث الأخلاق، فقد فهم الأوائل من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ أن الخلق بمعنى الدين، وهذا ما عبّر عنه كل من ابن عباس وابن تيمية وأحمد بن حنبل رضي الله عنهم؛ حيث قالوا: (على دين عظيم)، وفي لفظ عن ابن عباس: (على دين الإسلام)، وهو أيضًا قول السيدة عائشة السالف الذكر، وكذلك قال الحسن البصري: أدب القرآن هو الخلق العظيم.

ويميل ابن القيم إلى ترجيح تفسير ابن عباس رضي الله عنهما، بأن الخلق هو الدين. شارحًا عبارة السيدة عائشة رضي الله عنها السالفة الذكر؛ إذ إن أخلاق رسول الله ﷺ مقتبسة من مشكاة القرآن، فكان كلامه مطابقًا للقرآن تفصيلاً له، وتبيينًا، وعلومه علوم القرآن، وإرادته وأعماله ما أوجبه وندب إليه القرآن، وإعراضه وتركه لما منع القرآن، ورغبته فيما رغّب فيه، وزهده فيما زهّد فيه، وكراهته لما كرّهه، ومحبته لما أحبه، وسعيه في تنفيذ أوامره، وتبليغه والجهاد في إقامته، فترجمت أم المؤمنين لكمال معرفتها بالقرآن وبالرسول ﷺ، وحسن تعبيرها عن هذا كله بقولها: (كان خلقه القرآن). وفهم هذا السائل لها عن هذا المعنى، فاكتفى به واشتفى)(٢).

أما أحاديثه صلوات الله عليه في الحثّ على مكارم الأخلاق فهي كثيرة جدًا، منها قوله: «**البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطّلع عليه الناس**» [رواه مسلم].

---

(١) أمراض القلوب وشفاؤها: ابن تيمية ص ٢٤ المطبعة السلفية.

(٢) التبيان في أقسام القرآن: ابن القيم ص ١٣٦. تصحيح وتعليق طه يوسف شاهين –مكتبة أنصار السنة المحمدية بعابدين بمصر ١٣٨٨هـ– ١٩٦٨م.

وقوله ﷺ: «**إن خياركم أحسنكم أخلاقًا**» [متفق عليه]

وفي تقديره لقيمة الخلق يوم القيامة قال: «**ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذيء**» [رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح]. كذلك سُئل صلوات الله عليه عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال: «**تقوى الله وحسن الخلق**»(١)، وفي حديث آخر: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا**»(٢)، ونفهم من الحديث: مدى أهمية الأخلاق في ميزان العمل الصالح والعبادة؛ حيث يقول ﷺ: «**إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**»(٣).

سيرته ﷺ باقية خالدة:

إن أفضل أنبياء الله هم المرسلون منهم، وأفضل المرسلين هم أولو العزم كما قال تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾، وقال: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا**﴾ [الأحزاب: ٧]، فأولو العزم هم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ.

وأفضل أولي العزم هو خاتمهم محمد ﷺ؛ فإنه: (إمام المتقين وسيد ولد آدم، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا، وخطيبهم إذا وفدوا.. شفيع الخلائق يوم القيامة)(٤).

ولكونه خاتم الأنبياء والمرسلين، فقد حفظت سيرته بدقائقها، وتفاصيلها لتتضح للناس كافة؛ ولكي تحقق فيها الأسوة الكاملة الخالدة إلى يوم القيامة، فهو القائل: «**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى دارًا فأتمها وأكملها إلا**

---

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

(٣) رواه أبو داود (ينظر كتاب رياض الصالحين للنووي باب حسن الخلق).

(٤) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: ابن تيمية ص ٢٥ المطبعة السلفية.

موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون: لولا موضع اللبنة، فأنا موضع اللبنة، جئت فختمت الأنبياء» [رواه مسلم].

ومن هنا يتضح أيضًا أن هدف الرسالات الإلهية هو هدف أخلاقي[1]. ولكن، بقي أن رسالة خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام، قد حُفظت على مر الأجيال، وأن سيرته ستظل كذلك بسبب عموميتها للناس كافة؛ ولكي يتيسر اتخاذها قدوة للبشر جميعًا في كافة الظروف والأحوال على مدى العصور. لقد أتمها بسلوكه وبرسالته؛ (إنه لم يبعث لينشر الأخلاق الكريمة فحسب، وإنما بُعث ليتمم مكارمها)[2].

إن المسلمين يؤمنون بكافة الرسل، مع علمهم بأنهم متفاضلون؛ ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾، ولم يتم البقاء إلا لسيرة آخرهم عليه الصلاة والسلام؛ (أما غيره من الأنبياء فلم تختم النبوة بأحد منهم، ولم تكن سيرتهم خالدة.. وكانت حياتهم أسوة للذين أرسلوا إليهم في عهدهم)[3].

على أن من الواضح أن سيرته ﷺ قد حُفظت للإنسانية كاملة، بخلاف سيرة الأنبياء والرسل عليهم السلام قبله.

وما من شك في تمتع الأنبياء -عليهم السلام- جميعًا بمعالي الأخلاق؛ ما يجعلهم في أعلى المراتب الأخلاقية؛ إذ يظهر في كل منهم معالم أخلاق تبرزه عن غيره، فيظهر حماس نوح في تبليغ الدين، وشدة عناية إبراهيم بأمر التوحيد، وعُرف الإيثار عن إسماعيل، وكان جهاد موسى في مواجهة فرعون وقومه جهادًا عظيمًا؛ حيث آزره أخوه هارون، وظهر يونس مقرًا بذنبه فاستغفر وأناب، وكان يعقوب راضيًا بأمر ربه، وكان سليمان حكيمًا، وظهرت من يحيى خصال العفاف وطهارة النفس، وكان عيسى زاهدًا في الدنيا، وامتاز أيوب بالصبر على الآلام، وهذه الخصال العالية هي التي تسعى البشرية للتحلي بها[4].

(١) الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، المقداد يالجن ص ٤٨ .

(٢) شخصية المسلم ، د.عبد الحليم محمود ص ١٣٨ .

(٣) الرسالة المحمدية: سليمان الندوي ص ٢٦ .

(٤) نفسه ص ٢١، ص ٩٠ .

ولكن بسبب عدم معرفتنا بدقائق أخبارهم وأحوالهم؛ فهذا يحول بين اتخاذهم أسوة كاملة؛ حيث يشترط أن تكون جميع نواحي الحياة في الشخصية المقتدى بها معلومة؛ (إن المقتدى به والذي يتخذ الناس من حياته أسوة لا بد أن تكون حياته كلها واضحة صافية كالمرآة، وليلها كنهارها؛ لتتبين للناس المُثل العليا التي يحذونها في حياتهم بجميع أطوارها ومناحيها)[1].

ولا نجد هذا متحققاً إلا في خاتم الأنبياء والرسل محمد ﷺ؛ حيث توافرت في سيرته أربع خصال هي:

١- أن التاريخ الصحيح الممحّص يصدّقها ويعضدها.

٢- أنها سيرة جامعة محيطة بمناحي الحياة وجميع شئونها وأطوارها كما اتضح لنا في الصفحات السابقة.

٣- أنها كاملة متسلسلة لا ينقصها أي حلقة من حلقات الحياة.

٤- وهي عملية؛ بحيث يعبّر بها عن الفضائل والواجبات، وقد حقق النبي ﷺ بسيرته كافة هذه الفضائل والواجبات التي نادى بها، فاصبحت افعاله وأخلاقه مُثُلاً عُليا للناس، وتظهر هنا الحكمة الإلهية من افتقادنا للسيرة الكاملة للرسل والأنبياء قبله؛ حيث بُعثوا لأممهم خاصة، ولم تبق الحاجة لاستمرار سيرتهم في أمم أخرى بعدهم ولكن الحاجة كانت ماسّة لبقاء سيرة محمد ﷺ مسجلة ومعلومة إلى قيام الساعة؛ (ليتيسر التأسي بها لجميع أمم الأرض، وهذا من أصدق البراهين على كونه صلوات الله وسلامهم عليه خاتم النبيين ولا نبي بعده، قال تعالى: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾[2] ﷺ.

والتاريخ لم يحفظ لنا تاريخ غيره من الأنبياء والرسل؛ حيث لا نعلم إلا بعض سيرهم، وهو لا يكاد يكفي؛ لأن الذي نجهله عنهم أكثر بكثير مما نعلمه، بينما

---

(١) نفسه ص ٣٠ .

(٢) الرسالة المحمدية: سليمان الندوي ص ١٤٢ (آية ٤٠ من سورة الأحزاب).

يحتاج من يريد أن يتخذ من سيرتهم أسوة، أن يعرف جميع أطوار حياتهم وأدوارها(١).

إننا إذ رجعنا إلى حياة المرسلين -عليهم السلام- فإننا لا نعرف إلا القليل عنهم، ومن أكثر الأنبياء ذكرًا موسى عليه السلام، ولكننا لا نعثر في أسفار التوراة إلا على وقائع متناثرة كتربيته في قصر فرعون، ومناصرة قومه بني إسرائيل على ظلم فرعون، وخروجه على غفلة من فرعون بصحبة قومه، واجتيازه البحر حيث وجد طريقًا بإذن الله، وغرق فرعون بعد أن تبعه.

أما تاريخ عيسى عليه السلام، وهو أقرب الأنبياء عهدًا بالإسلام، فإن الروايات التي بلغتنا لا تتعدى ثلاث سنوات من أواخر حياته عندما جادل اليهود وناظرهم، هذا فيما عدا ما نعلمه أن مولده، والآيات التي أراه الله إياها؛ (ثم غاب عن الناس وظهر لهم وهو في الثلاثين من عمره)(٢).

هذا إلى جانب أننا نفتقد في سيرة الرسل والأنبياء كافة الأعمال والأحوال التي نعثر عليها ماثلة متحققة بواسطة القائمين بها؛ (إن العالم الذي يحتاج سكانه في حياتهم إلى أسوة تامة ليعلموا كيف تكون الرابطة بين الزوج وزوجته، وبين الصديق وأصدقائه، والأب وبنيه، والمقاتل وأعدائه، والهدنة بين المتحاربين، وكيف تنعقد إلخ. ويريد نموذجًا عاليًا يأتم به إذا عبد ربه، أو عاشر الناس، ويحاول أن يلم بالقوانين التي ينبغي العمل بها بالنسبة إلى الراعي والرعية والحكام والمحكومين(٣).. إلى غير ذلك من الأعمال التي يحتاج فيها البشر إلى قدوة في شتى نواحي الحياة. إن هذا المثال لا نجده إلا في حياة محمد ﷺ؛ حيث اختصت سيرته بالشمول، وتناول كافة جوانب الحياة الإنسانية، فكانت حقًا سيرة جامعة. أضف إلى ذلك أنه ما وهبه الله سبحانه الرسل جميعًا قد أوتيه محمد ﷺ وحده؛ (وأن ما تفرق من مكارم الأخلاق في الرسل قد اجتمع فيه)(٤).

(١) نفسه ص ٢٩.

(٢) نفسه ص ٣٥.

(٣) الرسالة المحمدية: سليمان الندوي ص ٣٨-٤١.

(٤) نفسه ص ٩١.

ويقول ابن حزم: (من أراد خير الآخرة، وحكمة الدنيا، وعدل السير، والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها، واستحقاق الفضائل بأسرها، فليقتد بمحمد ﷺ، وليستعمل أخلاقه وسيره ما أمكنه)(١).

أما عن الحكمة من اتباع السنة في مجال السلوك والأخلاق:

فإننا سنترك المجال لأحد المهتدين إلى الإسلام، وكان من اليهود، وهو الأستاذ محمد أسد رحمه الله؛ حيث بيّن أن هناك أسبابًا ثلاثة تؤكد ضرورة إقامة السنة وتنبي أطرافًا من حكمة اتباعها:

١- تمرين الإنسان المسلم بطريقة منظمة على أن يحيا دائمًا في حال من الوعي الداخلي واليقظة الشديدة وضبط النفس. وهذه ميزة الاقتداء برسول الله ﷺ في حركاته وسكناته. إن هذا الانضباط السلوكي وفقًا لسنته يؤدي إلى التخلّص من الأعمال والعادات العفوية التي تعرقل النشاط الإنساني عن التقدم، يقول محمد أسد: (إن الأعمال والعادات التي تقوم عفو الساعة، تقوم في طريق التقدم الروحي للإنسان كأنها حجارة عثرة في طريق الجياد المتسابقة.

٢- تحقيق النفع الاجتماعي للمسلمين؛ لأنهم باتباع السنة (أي المنهج النبوي في الحياة) تصبح عاداتهم وطباعهم متماثلة مهما كانت أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية متنافرة. ويعني بذلك المحافظة على الهدي الظاهر أيضًا.

٣- ضمانة الهداية إلى الحياة الإنسانية المتكاملة الكفيلة بتحقيق السعادة والحياة الطيبة؛ لأنه ﷺ يعمل بوحي إلهي، وقد أُرسل رحمة للعالمين وليس هاديًا من الهداة فحسب، ولكنه -وحده- الهادي إلى طريق مستقيم

وعلى هذا تصبح شخصيته ﷺ متغلغلة -إلى حد بعيد- في منهاج حياتنا اليومية نفسه، ويكون نفوذه الروحي قد أصبح العامل الحقيقي الذي يقودنا طول الحياة(٢).

---

(١) رسالة الأخلاق: ابن حزم ص ١٩-٢٠.

(٢) الإسلام على مفترق الطرق: محمد أسد ص ١٠٤-١١٠، ط دار العلم للملايين -بيروت.

وما أحوجنا إلى اتباع سنة الرسول ﷺ لمقاومة الحملات المعادية المدروسة وفق أساليب علم النفس لصياغة الإنسان المسلم صياغة؛ لتطويعه وإخضاعه لثقافة الغرب وطرق حياته[١].

ويقول كارليل: (إن كل فرد يملك القوة على تعديل طريقته في الحياة، وأن يفرض على نفسها أنظمة فسيولوجية وعقلية معينة، وعمل معين، وعادات معينة، كذا اكتساب السيطرة على بدنه وعقله، ولكنه إذا وقف وحيداً فلن يستطيع أن يقاوم بيئته المادية والعقلية والاقتصادية إلى ما لا نهاية)[٢].

ولنا أن نفخر معشر المسلمين بسنة الرسول ﷺ التي تحقق لنا -عند اتباعها- المحافظة على مقوماتنا الذاتية وأصالتنا والارتقاء بسلوكيتنا وأخلاقنا، بل من عوامل سعادتنا أيضًا أن (نتدين) ونتقرب إلى الله تعالى عندما نفرض على أنفسنا الأنظمة والعادات ونكتسب السيطرة على أبداننا وعقولنا عندما نقتدي بنبينا عليه الصلاة والسلام؛ ذلك لأن سنته من قبل الوحي الإلهي، وهو الأسوة الكاملة في تحقيق السعادة للإنسان بناء على معرفته له حق المعرفة، بينما عجزت البشرية حتى القرن العشرين -وسيكون ذلك حالها؛ لأن المعرفة الصحيحة للإنسان ينبغي أن تُستمد من خارج نطاق العقل الإنساني وتجاربه، أي الوحي المعصوم-؛ إذ ما زالت معارفنا بالإنسان -كما يقول كارليل- بدائية، وأن المعضلات ما زالت بدون حلٍّ[٣].

---

(١) الإنسان ذلك المجهول: الكسيس كارليل ص ٣٢٤ ، ترجمة شفيق أسعد فريد. هذا الأسلوب الذي كان يتبع بواسطة إنشاء معاهد يمكن أن يشكل فيها الجسم والعقل طبقًا لقوانين الطبيعة حيثما رأى الديكتاتوريون أن من المفيد تكييف الأطفال تبعًا لنظام معين.

(٢) نفسه ص ٣٣٠-٣٣١ .

(٣) ينظر كتابنا (الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام)، ط دار الأمل بالإسكندرية، ١٤٤٣هـ-٢٠٢٢م.

الباب الثاني:

الرد على افتراءات المستشرقين وبيان تهافت أقوالهم

تمهيد:

بسبب واقعنا المعاصر الذي زادت فيه كثافة الهجوم على القرآن الكريم وشخصية الرسول ﷺ، بل المسلمين والعرب عامة[1].

فقد جعلت من هذا الباب موضوعًا للردّ على بعض الشُّبه الباطلة والأكاذيب المضللة للمستشرقين بسبب الأحقاد الدفينة للإسلام والمسلمين التي أعمت بصائرهم، والحسد الذي تمكّن من أفئدتهم، فضلّوا ضلالاً بعيداً عن الحق المبين الذي أتى به الرسول ﷺ وأنار به العالم؛ حيث كانت الجاهلية هي السائدة متمثلة في الشرك والوثنية، وانحرافات أهل الكتاب، ومعاناة الشعوب من المظالم والاستبداد على أيدي الحكام من الفرس والروم وغيرهم، فكانت البشرية في حاجة إلى من ينقذها من ذلك كله، وبعث الله تعالى رسوله ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور.

ولا يخفى على أحد من الدارسين اكتشاف أن (الموقف الغربي تجاه الإسلام هو في نهاية المطاف موقف الاستشراق ذاته في العالم الإسلامي، وأصبح لدراسات المستشرقين موطأ قدم في مؤسسات التعليم العالي في العالم الإسلامي ومريدين؛ لذلك يجب التصدّي لها ونقدها لإنقاذ العقل المسلم في مجال يرتبط أشد الارتباط بعقيدته وهويته)[2].

وللشيخ محمود شاكر دراسة شاملة عميقة استغرقت من عمره أربعين عامًا لا غنى عنها لكل دارس لتاريخنا الحديث: الثقافي والديني والسياسي يعلّل بها سبب حركة الاستشراق والنشاط الدؤوب للمستشرقين، والسعي الجاد لمعرفة

---

(١) وهو ما دعا الدكتور جلال أمين أن يؤلف كتاباً بعنوان: (عصر التشهير بالعرب والمسلمين)، ط دار الشروق ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

(٢) عبد الله محمد الأمين النعيم (الاستشراق في السيرة النبوية) ص١، ٢، المعهد العالي للفكر الإسلامي ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

اللسان العربي للاتصال المباشر بالعلم الحسي عند علماء الإسلام، ولاسيما كتب الرياضة والجبر والكيمياء والطب والفلك وسائر علوم الصناعة.. يعلّل ذلك كله بسبب الغضب المشتعل على أثر دخول «محمد الفاتح» حصن المسيحية الشمالية، المنبع الشامخ (القسطنطينية). فدخلها قبيل العصر واتجه إلى «كنيسة أيا صوفيا» وجماهير رعايا الكنيسة يصلّون ويبتهلون ويسألون الله أن يدفع عنهم بلاء «الترك»، أي المسلمين.. ودنت صلاة العصر، وقام أحد العلماء فأذّن للصلاة، وصلى المسلمون العصر في «كنيسة أيا صوفيا»، ومن يومئذ حُوِّلت فصارت مسجداً.. وانتشر الخبر في أرجاء أوروبا.. ولم يبق عليها راهب ولا ملك ولا أمير ولا صعلوك إلا انتفض الغضب لدينه.. وهام الرهبان وغير الرهبان يحرّضون رعاياهم على قتال «الترك»، أي المسلمين.. وكلما زاد الترك توغلاً في أرض أوروبا «المقدسة» ازداد الخوف، وازداد التحريض على البغضاء والحقد.. وزاد التصميم على المقاومة.. ونشأت حلقة المستشرقين، الذين وهبوا أنفسهم للجهاد الأكبر، ولم يكن لهم همٌّ -ليلاً ولا نهاراً- إلا حيازة الكنوز العلمية في دار الإسلام بكل السبل وبفضلهم نشأ طبقة الساسة الذين عُرفوا باسم رجال «**الاستعمار**».. وبتعاونهم مع الرهبان أصبح هدفهم قهر الإسلام في عقر داره -هكذا ظنّوا-، وظهرت طائفة عُرفت باسم التبشير.. وقد نهب المستشرقون آلافًا مؤلفة من مخطوطات دار الإسلام، وعكفوا على دراستها وترجمتها.. وكتبوا لجماهيرهم آلافًا من المقالات ومئات من الكتب، تناولت كل شيء يخصُّ أمم دار الإسلام في ماضيها وحاضرها.. كتبوا في القرآن الكريم وفي حديث رسول الله ﷺ وسيرته، وفي تفسير القرآن وفي الفقه وفي تفاصيل شرائع الإسلام، وفي تاريخ العرب والمسلمين، وفي الأدب، واللغة والشعر.. والفرق الإسلامية والفلسفة وعلم الكلام..)[1].

(١) محمود شاكر (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا) باختصار شديد، ص ٤١-٤٢-٤٩-٥٤-٥٩، ط الخانجي ٢٠٠٦م، والكتاب في مجمله وثيقة نادرة حافلة بالأسرار التي كانت خافية عنا، ولا غنى عنه لكل دارس لتاريخنا الحديث.

كذلك تصدى الدكتور عبد الرحمن بدوي بقوة للكشف عن ما بلغه المستشرقون من تعصب أعمى إزاء القرآن الكريم، مبرزاً أخطاءهم وخطاياهم عندما قرأوا القرآن بعيون يهودية ونصرانية، مع سوء نية مسبق!!

كما فضح الافتراءات الاستشراقية الكثيرة على القرآن الكريم والسنة النبوية بكتابيه: (دفاعاً عن القرآن ضد منتقديه) و(دفاع عن محمد ﷺ ضد المنتقصين من قدره)؛ حيث واصل الدكتور بدوي بيان دور الاستشراق في الإساءة البالغة للإسلام والمسلمين، وقال: (خلال تتبعي للمفاهيم التي تبنّاها الأوروبيون حول نبي الإسلام ﷺ، انتابني الذهول من جهلهم المطبق، وعدوانيتهم الواضحة، وأحكامهم المسبقة المتأصلة، وتحزُّبهم الطاغي ضد خصومهم، وهذا لا ينطبق فحسب على الشعب الجاهل والساذج، ولكن ينطبق أيضاً على أكبر علمائهم وفلاسفتهم ورجال الدين والمفكرين والمؤرخين، حتى أنه خلال القرون التي شهدت انطلاق الفكر الأوروبي من القرن الثاني عشر وحتى القرن السابع عشر، لم يكن لدى أيٍ من هؤلاء من المفكرين الشجاعة في تحرّي المعرفة الحقة والموضوعية على الإسلام ورسوله ﷺ، وقد شهد (رينان) (١٨٢٥-١٨٩٢) على تحامل أبناء جنسه وملّته من المستشرقين على محمد ﷺ فقال: (لقد كتب المسيحيون تاريخاً غريباً عن محمد ﷺ.. إنه تاريخ يمتلئ بالحقد والكراهية له)، وشاركه الكاتب الهولندي (أدريان رولاند) (١٦٧٦-١٧١٨م) الذي كان عاقلاً في عداوته للإسلام، وأعلن أنه لم تُوجّه إهانات إلى أي دين بقدر ما وُجِّهت إلى الإسلام.. وقال: (ولقد رأيتني مضطراً للدفاع عن هذا الدين، خاصة في الأشياء التي نُسبت إليه زوراً أو بهتاناً، والتي تخجل وجه الحقيقة، حين تعتمد على الأكاذيب التي لا تستند إلى أي شيء من الشرعية، وقد ألحقت بالمسلمين أوصافاً كثيرة مثل: خرقاء، أفظاظ، مجانين....)[١].

---

(١) د/عبد الرحمن بدوي (دفاع عن محمد ضد المنتقصين من قدره) جـ١ ص ٤٥، ترجمة كمال جاد الله -دراسة وتقديم د/ محمد عمارة - هدية مجلة الأزهر ربيع الآخر سنة ١٤٣٨هـ.

ومن أقواله: (ولقد لاحظت أن حياة النبي ﷺ أصبحت تلوكها -عن علم أو عن غير علم- ألسن الأدعياء من الكتّاب الغربيين؛ ولذلك أردت أن أقطع عليهم هذا العبث، فقمت بترجمة السيرة النبوية لابن هشام، وأنفقت فيها عامين كاملين من العمل المتواصل)[١].

وقد وصف الغرب بأنه أكثر عنصرية ووحشية مع الإسلام مما يمكن أن نتصوّر!! وأنه لا يريد أن يفهم من الإسلام إلا ما يريد هو أن يفهمه؛ ولذلك يرحّب ويفسح المجال **أمام ترجمة مؤلفات الكتّاب العلمانيين دون غيرهم**.. إنهم يحرصون على ترجمة مقالات أمثال فرج فودة وسعيد العشماوي وفؤاد زكريا، التي جمعها وترجمها من العربية إلى الفرنسية المستشرق جيل كيبل!![٢].

وهو ما أقرّه المستشرق مونتجمري وات؛ إذ صرّح بأنه لم يُبخس أحدٌ من عظماء العالم حقَّه مثل محمد ﷺ، بعد دراسة طويلة لحياة النبي ﷺ، وقال: (إنه من الصعب معرفة سبب هذا التبرير الوحيد القابل للتصديق، هو أن المسيحية عاملت الإسلام -على مدى قرون- على أنه أسوأ أعدائها، ومع أن الأوروبيين أصبحوا ينظرون للإسلام بصورة أكثر موضوعية، فما زال هناك كثير من التعصّب القديم)[٣].

---

(١) مقدمة بقلم د/ محمد عمارة لكتاب الدكتور عبد الرحمن بدوي (دفاع عن القرآن ضد منتقديه) ص ١٢/١٣، هدية مجلة (الأزهر) رجب ١٤٣٦هـ.

(٢) د/ محمد عمارة -مقدمة كتاب (دفاع عن محمد ضد المنتقصين من قدره)، مصدر سابق.

(٣) دوباسكويه (إظهار الإسلام) ص ٦٤، ومصدره كتاب مونتجمري: (محمد ﷺ في المدينة).

فصل

وينقسم إلى مبحثين:

الأول: عرض مختصر لكتاب الأستاذ إبراهيم خليل أحمد.

الثاني: الكشف عن خبايا المستشرقين وموقفهم العدائي للإسلام.

المبحث الأول:

التعريف بالأستاذ إبراهيم خليل أحمد ومضمون كتابه كمصدر للرد على افتراءات المستشرقين وفضح أهدافهم وأساليبهم

وفيما يلي بضعة سطور مؤثرة تعبّر عن تجربته التي تجعل منه شاهداً صادقًا على ما يقول:

- إن إرادة الله تعالى عامل أساسي لأمتنا في الإسلام..

في نشوة انتصاراتي بالعمل التبشيري، وفي فترة إعداد نفسي لنيْل الدكتوراه في الفلسفة واللاهوت من جامعة بريستون بأمريكا.. وأردت برسالتي مهاجمة القرآن الكريم، ويشاء الله أن يقهرني بالقرآن الكريم ليسمعني صوته بقوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾.

- كان لهذه الآية وقع في نفسي؛ إذ جعلتني أفكر تفكيراً حراً نزيهًا، وأحسست بأن الله الذي علّمني ما لم أكن أعلم يستطيع أن يجرّدني من العلم والمعرفة ويتركني للذل والهوان، لكن إرادته لهدايتي جعلته يفيض علي من أنوار هذه الآية؛ مما أيقظ ذهني وقلبي وروحي إلى إرادته ومشيئته)[1].

والحق أن ما قرره القرآن الكريم هو الصدق اليقيني؛ ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾، ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾.

الحمد لله الذي هداني لهذا، وما كنت لأهتدي لولا أن هداني الله.

---

(١) إبراهيم خليل أحمد (الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية) ط مكتبة الوعي العربي - اغسطس سنة ١٩٧٢م ص ١٤/ ١٥.

- ويفخر المسلم بعقيدة الوحدانية السليمة التي تتلخص في قوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، والله يأبى أن يكون له شريك أو شبيه؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

وكان علي أن آخذ طريقي إلى القرآن الكريم بعين بصيرة وبقلب خاشع لله تعالى، وكان عليّ أن أقارن بين سمو ما ورد في القرآن الكريم وبين ما جاء في التوراة والإنجيل، وبهذه الدراسة أيقنت أن الله سبحانه وتعالى قد ﴿أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾.

وترامت المعلومات إلى السيد الأستاذ أحمد عبد الله طعيمة وزير الأوقاف الأسبق عن إيماني بالله ورسوله الكريم ﷺ، فاستدعاني إلى مكتبه في مارس سنة ١٩٦١، وعهد إلى الأستاذ محمد توفيق عويضة لتعييني بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوظيفة خبير في الشئون الدينية.

أما عن منهجه في الكتاب فقد لخصّه بقوله: (وأنا اليوم إذ أقدم كتابي هذا لا أبتغي إلا خدمة الإسلام والوطن العربي الكبير، وقد توخيت فيه الصدق، معتمداً على البرهان المادي الملموس عملاً بما يوحيه الضمير المخلص الخالص من غير حقد وتحامل(١).

وبعد عرضه لحقائق مريرة يقول إنها (رواسب للتبشير والاستشراق، بل توجيهاً سافراً من الاستعمار الذي ظلّ منذ سنة ١٨٨٢، وهو يهدف إلى شلّ القيم الإسلامية وإلى الازدراء باللغة العربية بصورة إيجابية، وذلك بتقويم العلم الأوروبي، وتمجيد الحضارة الأوروبية، والاستمساك بأهداب المدنية الغربية. (ص ٥٨).

ويشرح ميزة الكتاب أنه من واقع الحياة التي عاشها في العهد السابق، وبه يتبين أن التبشير والاستشراق كانا من وسائل الاستعمار الغربي لقهر المسلمين والازدراء بدينهم!

---

(١) نفسه ص ٢٠/٢١.

كذلك ذكر أسماء بعض المتعاونين مع الاستعمار تحت عنوان: (تلاميذ المستشرقين والمبشِّرين «عملاء الاستعمار») ص (٧٧).

- وعن فحوى الكتاب خصّص الفصل الأول وعنوانه: (الصديق اللدود) وصدّره بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، وتحدث عن مطامع فرنسا في مصر (ص٨٣).. والاستعمار الفرنسي لم يكتف بالاحتلال العسكري والاستغلال والاستنزاف الاقتصادي البشع للجزائر، بل حاول القضاء على عروبة الجزائر بفرنستها ومحاولة إلحاقها بفرنسا كامتداد لها في إفريقيا (ص٩٧).

وصرّح بأسماء المؤسسات التعليمية في الشرق العربي وهي:

١- جامعة القديس يوسف في لبنان، وهي جامعة بابوية كاثوليكية، وتعرف الآن بالجامعة اليسوعية.

٢- الجامعة الأمريكية ببيروت، وقد أنشئت في عام ١٨٦٥ وهي جامعة بروتستانتية.

٣- الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وقد كان القصد من إنشائها أن تكون قريبة من المركز الإسلامي الكبير وهو الجامع الأزهر[١].

٤- الجامعة الأمريكية بإستانبول.

٥- الكلية الفرنسية في لاهور، وقد أسست في لاهور باعتبار أن هذا البلد يكاد يكون مثالاً للبلد الإسلامي في تكوينه في شبه القارة الهندية. ولقد أبانت هذه الكليات عن أغراضها السافرة التبشيرية كما جاء في منشور الجامعة الأمريكية ببيروت (ص٥٥)، ومما ورد في منشورها أن غايتها أن تعلم الحقائق الكبرى في التوراة.

(١) ونحن نضيف أيضاً «كلية فيكتوريا» الإنجليزية بالإسكندرية، وكانت تقوم بتخريج عدد غير قليل من الحكام العرب في مستويات قيادية مختلفة.

وفي بريطانيا كان «كامل بترمان» ممن يهتمون بالدراسات التاريخية ويعتمدون اعتماداً كبيراً على دور المستشرقين في الدور والمؤسسات العلمية والمبشّرين في الدور والمؤسسات الدينية، ومتابعة تقاريرهم عن الوضع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والعسكري في البلاد، وألف لجنة من كبار العلماء وأساتذة الجامعات البريطانيين والفرنسيين في فروع العلم المختلفة، وطلب منهم أن يبحثوا الوسائل التي تستطيع أن تبقي الاستعمار البريطاني أو تؤخر من نهايته على الأقل (ص ١٠٢).

وفي غرض مشابه اصطحب نابليون معه إلى مصر بعثة علمية لدراسة البيئة المصرية وأحوال البلاد، ووضع التقارير اللازمة لتمكين الاستعمار الفرنسي من توطيد دعائم احتلاله للبلاد (ص٣٤).

وكان موضوع الفصل الثاني (الأطماع الاستعمارية في الوطن العربي)، وذكر فيه (وعد بلفور) المتصدر رغبة الحكومة البريطانية في إقامة وطن قومي لليهود[1].

وأفرد الفصل الثالث لبيان أحوال الشرق بين حربين، والمطامع الدولية.. ومنها احتلال إيطاليا لليبيا، واحتلال إنجلترا لمصر، وأطماع فرنسا في سوريا ولبنان، ومعاهدة سايكس / بيكو الدالّة على غدر الحلفاء بالعرب[2].

ولم يترك الأستاذ إبراهيم خليل أحمد بعد هذه الوقائع الأليمة المسلمين نهبًا لليأس، بل أفرد الباب الثالث من الكتاب للحديث عن (الإسلام في مواجهة أعدائه) ص ١٥٧، مؤكداً في الفصل الأول (أن الإسلام قوة لا تُقهر) ص ١٥٨، والفصل الثاني بعنوان (كمال التشريع الإسلامي «ولو كره الكافرون») ص ١٦٣، وعُني بإسهاب أيضاً (العلاج كما يراه الدكتور محمد البهي وزير الأوقاف وشئون الأزهر سابقًا)، وخصص الفصل الثالث لما يقترحه باعتبار (التضامن الإسلامي ضرورة حتمية) مكرّراً ذلك بخاتمة الكتاب [**أن التجمع الإسلامي خطوة تقدمية**

(١) نفسه ص ١٠٥ .

(٢) نفسه ص ١٤٣ .

يفرضها منطق التاريخ، ومنطق الواقع الإلهي، والواقع العالمي.. ومواجهة مطامع الكتلتين الشرقية والغربية معًا.. وضرورة تجمّع شعوب المنطقة حول عقيدتها الذاتية ومن أجل مصالحها المادية والمعنوية، واعتزازها بشخصيتها، ودفاعها عن كيانها، واستقرارها][1] .

وهو بهذا الرأي متفق تمامًا مع الشيخ محمد الغزالي؛ بأن الوحدة الإسلامية ضرورة حياة[2].. ويضرب الأستاذ خليل إبراهيم مثالاً على ذلك فيقول: (إن القضايا السياسية والوطنية ما زال الجهد الفردي للشعوب صاحبة الحق فيها عاجزاً عن حلها -مثل قضايا: فلسطين وكشمير وقبرص وغيرها.. ولكن التضامن الإسلامي يحوّل تلك القضايا إلى قضايا إسلامية عامة يتحمل عبئها جميع الدول الإسلامية في إطار التعاون والتضامن ووحدة الأهداف ووحدة العقيدة والعمل، ويجعل لها الوزن السياسي الكفيل بحلها- لا مجرد مجموعة أضيق وأصغر كالجامعة العربية مثلاً، التي عجزت إلى اليوم عن إسماع صوت الحق في المجال الدولي بالنسبة لقضية فلسطين!!)[3]، ولكننا نضيف قضايا إسلامية أخرى زادت عما عاصره الأستاذ إبراهيم خليل -يقول الدكتور مصطفى محمود: (وما يجري لمسلمي الشيشان وأذربيجان وكازاخستان وبورما وكشمير وألبانيا والفلبين وفلسطين وليبيريا- الذي يتعرض فيها المسلمون وهم بنسبة ٣٥٪ إلى الإبادة وهم نحو مليون.. قُتل منهم وشُرِّد خمسون ألفًا، وأُحرق الدعاة والأئمة بالنار)!![4].

وفيما يلي قائمة بمؤلفات الأستاذ إبراهيم خليل:

---

(١) الاستشراق والتبشير.

(٢) محمد الغزالي (سر تأخر العرب والمسلمين) ص ١٢٤، ط دار الصحوة بالقاهرة، ١٩٨٥م..

(٣) الاستشراق والتبشير ص ١٩٢ .

(٤) د/ مصطفى محمود (عظماء الدنيا وعظماء الآخرة) ص ٧٩، ويقول ص ١٢٢: (وروسيا تضرب ما تبقى من دول إسلامية آسيوية ضربات قاتلة -كتاب اخبار اليوم سنة ١٩٩٦م.

• **أولاً: مطبوعات المؤلف:**

١- محمد ﷺ في التوراة والإنجيل والقرآن (ط٣) .

٢- إسرائيل فتنة الأجيال (العصور القديمة) .

٣- إسرائيل فتنة الأجيال (العصور الحديثة) .

• **ثانياً: كتب تحت الطبع:**

١- إسرائيل والتلمود (دراسة تحليلية) -طبعة ثانية .

٢- الإسلام في الكتب السماوية .

٣- بشرية المسيح في الأناجيل .

٤- المخطط التبشيري والاستعمار .

ملتزم الطبع والنشر، مكتبة الوعي العربي بالفجالة / مصر، القاهرة في شعبان ١٣٩٣هـ - سبتمبر سنة ١٩٧٣م .

تحذير الأستاذ إبراهيم خليل من خبايا المستشرقين ومقاصدهم للنيل من الإسلام:

في تعليقه على سماح الدول الإسلامية لهؤلاء المستشرقين بأن يساهموا في المجمع اللغوي، يتساءل : هل عرفت هذه الدول آراءهم في الإسلام والمسلمين قبل أن تسمح لهم بذلك؟ إن هذه الحقيقة لا ينبغي أن تغيب عن الذهن . . ثم عرض بعض آرائهم فيما يلي :

١- يصوّر المونسنيور كولي الإسلام في كتابه « البحث عن الدين الحق » بهذه الصورة : (في القرن السابع برز في الشرق عدوٌ جديد، ذلك هو الإسلام الذي أُسس على القوة، وقام على أشد أنواع التعصب، لقد وضع محمد ﷺ السيف في أيدي الذين اتبعوه، وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق، ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب، ووعد الذين يهلكون في القتال (يستشهدون في سبيل الله) بالاستمتاع الدائم بالملذات (في الجنة)، وبعد قليل أصبحت آسيا الصغرى

وأفريقيا وإسبانيا فريسة له، حتى إيطاليا هددها الخطر، وتناول الاجتياح جنوب فرنسا. لقد أصبحت المدنية مصابة، ولكن هياج هؤلاء الأشياع (المسلمين) تناول في الأكثر كلاب النصارى.. ولكن انظر، ها هي النصرانية تضع بسيف شارلي مارتل سداً منيعًا في وجه الإسلام المنتصر عند بوانيه سنة ٧٥٢م، ثم تعمل الحروب الصليبية في مدى قرنين (١٠١٩-١٢٥٤) في سبيل الدين، فقد حج أوروبا بالسلاح، وتنحي النصرانية، وهكذا تقهقرت قوة الهلال أمام راية الصليب، وانتصر الإنجيل على القرآن وعلى ما فيه من قوانين الأخلاق الساذجة[١]، وقد نال هذا الكتاب رضا البابا ليون الثالث عشر سنة ١٨٨٧، وعاش في المدارس المسيحية في الشرق والغرب إلى اليوم!![٢].

وكان «ريجان» الرئيس الأمريكي الأسبق للولايات المتحدة شديد التعصب لدينه، وهو يحترم الكنيسة ويوقر تعاليمها، ويدعو إلى جعل التعليم الديني جزءاً من مناهج الدراسة في المراحل الأولى.. وقد أنذر في ترشيحه الأول بأنه على استعداد **لشن حرب صليبية** لترجيح كفة المبادئ التي يعتنقها.. أما في حملته الانتخابية الثانية، فقد نشرت جريدة «الأهرام» بتاريخ ٨-٩-١٩٨٤ تقريراً يذكر فيه أن ريجان يخوض حملته الانتخابية رافعًا الإنجيل، قائلاً بالحرف الواحد: (إن في هذا الكتاب حل مشكلات البشرية)، ناقداً مبدأ فصل الدين عن الدولة، قائلاً: (إنه آن الأوان لإلغاء هذا الفصل وإعادة الدين إلى الدولة)[٣].

حاشية:

هذا، وقد قدّم لنا الأستاذ إبراهيم خليل سنداً إضافيًا ودليلاً لا يقبل الشك بأن تلك الكتب وغيرها هي أحد مصادر تغذية الروح العدائية للإسلام التي نشأ عليها قادة وساسة الغرب منذ تلقيهم العلم في المدارس وهم صغار، ومن ثم

(١) ص ٢٢٠ من كتاب «البحث عن الدين الحق»، طبعة ١٩٢٨.

(٢) إبراهيم خليل أحمد (الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية) ص ٦٣.

(٣) الشيخ محمد الغزالي (سر تأخر العرب والمسلمين) ص ١٢٨، ط دار الصحوة بالقاهرة سنة ١٩٨٥م.

يتأكد تفسير حروب أفغانستان والعراق والبوسنة والهرسك بأنها حروب صليبية بجدارة، وكان بوش قد صرّح علنًا بذلك ولحق به رئيس الصرب والرئيس الإيطالي أيضًا، ولا يخفي نيكسون بكتابه «نصر بلا حرب»: (أن الإسلام هو العدو الجديد للغرب بعد زوال الاتحاد السوفيتي)، وهو بذلك يعبّر عن قناعته لدى النخب الحاكمة في الغرب!! ومما يثير الشجن أنه لا أحد يجرؤ على استبعاد الكتب التي نبّهنا إليها الأستاذ إبراهيم خليل من المدارس، والعكس صحيح.

يقول الدكتور محمد يحيى: (إن الهدف الأمريكي أثناء حرب أفغانستان هو إجبار الدول الإسلامية على تغيير المناهج الدراسية الدينية وفرض العلمنة عليها.. ودعكَ من أن أحداً لا يفرض تغيير مناهج التعليم الديني اليهودي في إسرائيل وفي غيرها، أو مناهج التعليم المسيحية الأصولية، وغير الأصولية)(١).

٢- يقول و. س نلسون: (لقد أخضع سيف الإسلام شعوب أفريقيا وآسيا شعبًا بعد شعب)(٢).

٣- ويقول أديسون: (إن محمداً ﷺ لم يستطع فهم النصرانية؛ ولذلك لم يكن في خياله منها إلا صورة مشوهة، بنى عليها دينه الذي جاء به العرب)(٣).

أما عن مؤلفاته فهي:

١- دائرة المعارف الإسلامية.

٢- دائرة المعارف الإسلامية، القسم المتصل بالإسلام والعرب.

٣- دراسة في التاريخ (القسم المتصل بالإسلام والرسول ﷺ)، تأليف أرنولد توينبي.

---

(١) مقال بعنوان: (البعد الديني في الحملة الأمريكية على أفغانستان) ص ٩٣ مجلة (المنار الجديد) شوال ١٤٢٢هـ - يناير سنة ٢٠٠٢م.

(٢) التبشير والاستعمار ص ٢٣٦.

(٣) التبشير والاستعمار ص ٢٧.

٤- حياة محمد ﷺ، تأليف سير ويليام موير.

٥- الإسلام، تأليف ألفرد جيوم.

٦- الإسلام (باللغة الفرنسية)، تأليف هنري لامنسي.

٧- دعوة المئذنة، تأليف كينيث كراج.

٨- طريق الإسلام، تأليف جماعة من المستشرقين، منهم هـ. أ. د. جب، وترجم إلى اللغة العربية.

٩- ترجمة القرآن، وضع أ. ج. أربري.

١٠- الإسلام، تأليف صموئيل زويمر.

١١- الهداية، ترجم إلى اللغة العربية في أربعة أجزاء.

١٢- ميزان الحق، ترجم إلى اللغة العربية.

١٣- مصادر الإسلام، تأليف سنتكلير، وتسدل.

١٤- المسيحية في الإسلام (باللغة العربية) تأليف: لايغوماشي= إبراهيم لوقا[١].

الرد على افتراءات المستشرقين وبيان تهافت أقوالهم:

يقول الأستاذ إبراهيم خليل: (ويحسن بي أن أورد نموذجًا لافتراءاتهم في هذا الموضوع؛ ليتبين المسلم مدى **خطورة هذه الكتب**.. لقد زعموا أن الإسلام أخذ من الجاهلية: صلاة الجمعة، وصوم عاشوراء، وتطييب البيت الحرام، وحظ الذكر من الميراث مثل حظ الأنثيين، والتكبير، والأشهر الحرم، والحج والعمرة، ونتف الإبط، وحلق العانة، والوضوء والاغتسال، والختان، وتقليم الأظافر، وأخذ من الصابئة: الصلوات الخمس، والصلاة على الميت، وصيام شهر رمضان، والقبلة، وتعظيم مكة، وتحريم الميتة ولحم الخنزير، وتحريم الزواج من القرابات، وأخذ من الهندية والفارسية: قصة المعراج، والجنة والحور والولدان، والصراط، وأخذ من اليهودية:

(١) الاستشراق والتبشير ص ٦٤.

قصة قابيل وهابيل، وقصة إبراهيم، وقصة ملكة سبأ، وقصة يوسف، وأخذ من النصرانية: قصة أهل الكهف، وقصة مريم العذراء، وقصة طفولة يسوع)[1].

ثم يرد عليها بقوله: وأمام هذه النزعات الخطيرة ضد الإسلام يقول الله سبحانه في شأن القرآن الكريم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، ويقول عن الرسول الكريم ﷺ العربي الذي بُعث فيهم: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٢- ٤].

ويقول: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤٠- ٤٣].

ويقول: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ويقول في عموم رسالته ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨].

ويقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.

ويقول: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

ويقول جل شأنه، بشأن إعجاز القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣][2].

(١) نفسه ص ٦٧/ ٦٨.

(٢) نفسه ص ٦٩.

وينظر أيضاً الفصل بعنوان (الخصال التى أعطى النبى ﷺ واختص بها وحده دون سائر الأنبياء عليهم السلام) ص ٤٢-٤٣.=

ويحذرهم مغبة انحرافهم وضلالهم فيقول: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

ونلاحظ أنه اكتفى بالرد عليهم باختياره آيات القرآن الكريم المناسبة، وجعلها في مواضعها تماماً، وكان موفقاً باتباعه هذا المنهج.

ثم أخذ بعد ذلك يعلّق مستنداً إلى ابن خلدون فقال: (ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه، وسجل التاريخ بشهادة قوية تؤيد الحق والإسلام، فيقرر ابن خلدون عن القرآن الكريم ما نصه: (فاعلم أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه، وكان ينزل جملاً جملاً، وآيات آيات؛ لبيان التوحيد والفروض الدينية حسب الوقائع، ومنها ما هو في العقائد الإيمانية، ومنها ما هو في أحكام الجوارح)(١).

وقال في موضع آخر: (ويدلّك على هذا كله أن القرآن من بين الكتب الإلهية إنما تلقاه نبيُّنا صلوات الله وسلامه عليه، متلواً كما هو بكلماته وتراكيبه، خلافاً للتوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب السماوية، فإن الأنبياء يتلقونها في حالة الوحي معاني ويعبرون عنها بعد رجوعهم إلى الحالة البشرية بكلامهم المعتاد؛ ولذلك لم يكن فيها إعجاز).

ويذكر الأستاذ إبراهيم خليل أن ما قاله ابن خلدون يتفق في الرأي مع أعلام اللاهوتيين الغربيين، ومنهم دوملو، والدكتور شاف، وغيرهما.. ويقول دوملو في تفسيره للكتاب المقدس ما ترجمته: (إننا لا ينبغي أن نقيّم الكتاب المقدس

= ويضيف: أن ما زعمه المستشرقون عن صلة الإسلام بغيره من الأديان هو أقرب إلى المهاترات منه إلى أقوال العقلاء الأسوياء !! لقد تعمدوا قصداً تجاهل أحاديث الرسول ﷺ التي يحذر فيها المسلمين من تقليد الأمم قبلهم في عصر الجاهلية حيث قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟! لا يقتصر فحسب على العقائد بل يسري أيضاً على الملابس والعادات حيث قال: «ومن تشبه بقوم فهو منهم» (رواه أبو داود وأحمد)، وقوله: «خالفوا المشركين، اعفوا اللحى وقصوا الشوارب»، وقوله «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم» الشيخ أبو بكر الجزائري (منهاج المسلم) مكتبة العلوم- المدينة المنورة ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر، لابن خلدون ص ٣٦٦، ومقدمة ابن خلدون ص ٣٦٧، طبعة سنة ١٩٣٠.

ككتاب كامل تمامًا، باعتبار الله ذاته هو واضعه مستخدمًا البشر أيديهم وعقولهم كما يستخدم الإنسان الآلة الكاتبة)[1].

ويقول الدكتور فيليب شاف في كتيب له: (إن الأناجيل لا ينبغي أن تكون كتبًا موحى بها، وأن الله هو المصدر الوحيد لها لا الإنسان. ولكن ينبغي أن ننظر إليها من زاوية أخرى، إنها محاولات لرجال امتازوا بالورع ولكنهم ليسوا موهوبين من أتباع المسيح الذين عاصروا حياته).

ونضيف بدورنا دليلين آخرين، أحدهما للدكتور مراد هوفمان، حيث قال: (تمت محاولة مراجعة نقدية تاريخية للمصادر المكتوبة التي تستمد منها المسيحية تعاليمها، ولقد قام بهذه الحركة لاهوتيون، وكان لها نتائجها المدمرة.. وحرص القساوسة على حجبها عن الجماهير والتكتم على أمره، وقام (ردولف بتمان) باتباع المنهج التاريخي النقدي في تحليله وتناوله النص المقدس.. وانتهى إلى القول بأنه لا يوجد رغم المجهودات المضنية مصدر أساسي، لا يوجد «إنجيل عن عيسى»)[2].

والثاني: ما قاله دافيد هيوم (١٧١١-١٧٧٦)، الفيلسوف الإنجليزي: (إن الأساس الذي يقوم عليه صدق الديانة المسيحية أضعف وأوهى من الأساس الذي يقوم عليه صدق ما تدلنا عليه الحواس)؛ إذ كان يرى أن العقيدة مستمدة من العواطف الفطرية للإنسان، بينما معجزات المسيح (عليه السلام) مرويّة عن شهود أقدمين ليسوا ثقات، هذا إلى جانب جهلهم؛ لذلك فإن احتمالات خداعهم -من جانب المسيح- تكون أكثر ترجيحًا من حدوث المعجزة نفسها أمامهم[3].

ولكننا -معشر المسلمين- نصدّق ما جاء به عيسى -عليه السلام- من المعجزات؛ لأن مصدرنا الوحي المعصوم: كتاب الله عز وجل.

---

(١) تفسير دوملو ص ٨٨/ ٨٩، ص ٧٠، من كتاب (الاستشراق والتبشير).

(٢) د/ مراد هوفمان (الإسلام في الألفية الثالثة -ديانة في صعود) ص ١٦٨ تعريب: عادل المعلم، يس إبراهيم -مكتبة الشروق -القاهرة، كوالامبور- جاكارتا، ٢٠٠١م.

(٣) د/ مهندس محمد الحسيني إسماعيل (الحقيقة المطلقة.. الله والدين والإنسان) ص ٤٦٨، مطابع الأهرام سنة ١٩٩٥م، نقلاً عن د/ زكي نجيب محمود (نوابغ الفكر الغربي: هيوم)، دار المعارف بمصر. ونعترض على سوء أدب هيوم وكذبه عند الحديث عن عيسى عليه السلام!

المبحث الثاني

كشف لنا الأستاذ إبراهيم خليل أحمد عن خبايا **أعمال المبشرين والمستشرقين**.. وحدّد أسماء ومواقع نشاط العمل التبشيري في مصر ومؤسساته، فهناك مؤسسات المذهب الكاثوليكي التي لا تقل في ضخامتها وبرامجها عن المؤسسات البروتستانتية، ومنها على سبيل المثال:

١- المعهد الشرقي بدير الدومنيكان بجوار مصنع الطرابيش بالعباسية بالقاهرة.

٢- معهد دار السلام بكنيسة دار السلام بمصر القديمة.

٣- المعهد الفرنسي بالمنيرة.

٤- مدارس الفرنسيسكان بالفجالة.

٥- مدارس الفرير بالخرنفش.

وهذه المؤسسات ملحق بها مطابع لمطبعة النيل المسيحية التي يملكها البروتستانت بشارع الأصبغ بالزيتون، وهذه المؤسسات تخضع مباشرة للنفوذ الأمريكي الإنجليزي الفرنسي.

وتبحث هذه المؤسسات في التراث الإسلامي، وتتعاون مع أبنائها من الوطنيين الذين تثقفوا بالثقافة الإنجليزية أو الفرنسية ممن درسوا في أمريكا أو إنجلترا أو فرنسا الآداب الشرقية، والثقافة الإسلامية، وهؤلاء يزداد أثرهم كلما ارتفع شأنهم، واتصلت مشورتهم بتوجيه الآداب أو الثقافة في مصر، وعلى هذا المقياس بالنسبة للدول الإسلامية[1].

وهؤلاء هم تلاميذ للمستشرقين والمبشرين -عملاء الاستعمار- الذين يتولون مهمة أساتذتهم بعيونهم ويصيخون بآذانهم إلى مختلف الأوساط؛ لمعرفة كل الاتجاهات، حتى يستطيعوا أن يذللوا أي عقبة تعترض سبيل نشاطهم وعملهم،

---

(١) إبراهيم خليل احمد (الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية) ص ٥٤، مكتبة الوعي العربي - اغسطس سنة ١٩٧٢م.

فهم في سرّية أعمالهم كالجمعية الماسونية، تنشد في الظاهر السلام العالمي، لكنها دعوة سرّية لاستتباب حكم التوراة في ربوع العالم.

ويعتمد المستشرقون والمبشّرون في تحقيق أهدافهم وتمويلها على ما تقوم به المؤسسات الدينية والسياسية والتجارية في الغرب، وكان ملوك وأمراء أوروبا وأثرياء أمريكا يحبسون أوقافا ومنحًا لهذا العمل، ومن هؤلاء (دكتور جيسون) الذي أوقف أموالاً طائلة لطبع التوراة والإنجيل وتوزيعها مجانًا في أنحاء العالم. و(روكفلر) ومنحه العلمية للوافدين من آسيا وأفريقيا، فكان هذا السخاء مما دفع المستشرقين إلى الاستزادة من كشف طلاسم التوراة، فدرسوا اللغة العبرية، وتفقهوا فيها، وأصبحوا أساتذتها وأدّت بهم هذه الدراسة إلى دراسة اللغة العربية والأدب العربي والإسلام(١).

وهم يعملون وفق خطط مدروسة؛ حيث يجتمعون في هيئة مؤتمرات بين الحين والآخر، وقد تركزت أهداف الاستشراق والتبشير -مع تنوعها- في خلق تخاذل روحي ومعنوي، وإيجاد شعور بالنقص في نفوس المسلمين والمشرقيين عامة، وحملهم من هذا الطريق على الرضا والخضوع للتوجيهات الغربية.

ومنهم نفر اشتغلوا بالآداب الشرقية والعربية والعلوم الإسلامية، ثم ساروا بدراستهم إلى الموازنة بين الآداب الغربية وسموها كمالاً، والآداب العربية (الإسلامية) وتخلفها عن ركب الحياة.. وهم فيما يخرجون من المؤتمرات التي يعقدونها بقرارات، ينفذونها بالحيل، فهم لا يدعون المسلمين إلى المسيحية، **بل يحاولون تشويه الإسلام وإضعاف قيمته، ثم يصورون المسلمين للرأي العام الأوربي والأمريكي بصورة مزرية، بعيدة عن المستوى الحضاري في عصرنا الحاضر**(٢).

---

(١) نفسه ص ٧٧ / ٧٨ باختصار.

(٢) نفسه ص ١٦٢؛ حيث يصورون المسلمين كقوم يعشقون الملذات، ويدمنون المخدرات ويغرمون بالنساء وتعدد الزوجات، ويستدلون بذلك على ما يبدو من ملوك وسلاطين المسلمين. ومن المؤتمرات التي عقدوها وتدارسوا فيها منهاج سياستهم: القاهرة سنة ١٩٠٦م، وبيروت ١٩١١، والقدس ١٩٢٤، والقدس ١٩٣٥، ودلهي بالهند ١٩٦١، ولا شك أنهم مستمرون في عقد مؤتمراتهم في غفلة من المسلمين عنهم!!

وقد سلك المستشرقون والمبشرون كل مسلك ظنوه محققًا لأهدافهم، واستطاعوا أن يتسللوا إلى المجمع اللغوي بمصر، والمجمع العلمي بدمشق، والمجمع العلمي ببغداد، كما دخلوا -بتأييد الاستعمار- **في مجال التربية والتعليم، محاولين غرس مبادئ التربية الغربية في نفوس المسلمين، ونجحوا في هذا إلى حدٍّ كبير، حتى أن أولياء العهد الملوك المسلمين كانوا يقصدون إنجلترا للدراسة والعلم**(١).

والغرض من هذا كله أن يشبوا متشبعين بمبادئ الغرب ممالئين له، وبهذا تخفُّ في نفوسهم موازين القيم الإسلامية.

وفي عرض للجهاز الكنسي البروتستانتي، ذكر المؤسسات التالية:

أ- الإرسالية الأمريكية بوادي النيل، وهي الهيئة المهيمنة على سياسة الكنيسة البروتستانتية بمصر والسودان؛ تنسيقًا للسياسة العليا للمحفل العام الأمريكي (ص ٣٠).

ب- المجمع الأميركي: ويقوم المرسلون الأمريكيون بعقد هذا المجمع في أواخر شهر يناير من كل سنة، ومقره الدائم كلية أسيوط الأمريكية الثانوية بأسيوط.. وينعقد هذا المجمع لدراسة الشئون التبشيرية.

هذا، وللأستاذ إبراهيم خليل لفتة ذكية لسبب إنشاء الجامعة الأمريكية بالقاهرة لتكون قريبة من الأزهر، ولا يخفى أنه يلفت النظر إلى هدفها الأساسي وهو الغزو الفكري بعد مراقبة دراساته ومناهجه التعليمية وأنشطته الدعوية عن كثب(٢).

---

(١) نفسه ص ٦٠، وذكر منهم على سبيل المثال، لا الحصر:
١- الملك السابق فاروق (مصر).
٢- الملك فيصل (العراق).
٣- الملك حسين (الأردن).

(٢) ولكن نلاحظ عملية تزييف للتشويه على هذا الغرض، ومن ثم تصور الجامعة الأمريكية (بأنها لعبت على مدى أكثر من نصف قرن دورًا تنويريًا وتعليميًا ملموسًا في مصر، مثّلت خلاله جسرًا قويًا لالتقاء الحضارة العربية والإسلامية بالحضارة الغربية)!! (جريدة «الأهرام» بتاريخ ٦/٥/٢٠٢٢م.

ويقول الدكتور أحمد دمرداش (إن نظرة رجال السياسة ورجال المال في أمريكا قد تغيرت في الثلاثينيات من القرن الحالي، فأناطوا للجامعات الأمريكية دراسة التراث العربي، لا حبًّا في التراث ولكن لحاجة في نفس يعقوب؛ **لكي يتبينوا من خلال الدراسة عقلية الرجل العربي، ونفسية الرجل العربي، وكيف يُساس الرجل العربي، ومن هم الحكام الذين استطاعوا أن يلووا أعناق الأعراب في الماضي**)[1].

ومن ملاحظاته لأحوال العصر الصائبة تعليل قيام الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية بإقامة سلسلة من الأحلاف والقواعد العسكرية لإلغاء المستعمرات التي حصلت على الاستقلال السياسي الاسمي ضمن مناطق نفوذها وسيطرتها. ووصف الاستقلال بأنه اسمي؛ لأنه يرى أنه بالرغم من انحسار الاستعمار العسكري إلا أنه ترك ما هو أكثر ضرراً، وهو ما أطلق عليه اسم (**الاستعمار المعنوي**)[2].

- يعلّل أسباب تأخر الزحف الاستعماري على الوطن العربي الإسلامي بعاملين:

- **الأول**: عامل حضاري؛ إذ كان ما زال يتمتع في القرنين السادس عشر والسابع عشر ببقية من حضارته القديمة، ولم تكن حضارة أوروبا المتولّدة من عصر النهضة قادرة في هذه المرحلة على حسم الصراع لصالحها.
- **الثاني**: وهو **الوجود العثماني** في الوطن العربي؛ إذ كان عاملاً ساهم في تأخر الزحف الاستعماري.

- برعت الدول الاستعمارية في إعداد الانقلابات العسكرية في الوطن العربي، وشهدت سوريا عقب الحرب العالمية الثانية سلسلة من الانقلابات العسكرية..

---

(١) د/أحمد دمرداش، دراسة بعنوان: (الرياضيات عند العرب -ينبوع الفكر الرياضي الحديث) ص ١١٢، كتاب (التراث العربي -دراسات) (جمعية الأدباء) -القاهرة سنة ١٩٧١م.

(٢) نفسه ص ١٦٨.

كما وقع في السودان عام ١٩٥٨ انقلاب عسكري من صنع أجهزة المخابرات الاستعمارية(١).

من رواسب الاستشراق والتبشير أن الاستعمار ظل منذ سنة ١٨٨٢ وهو يهدف إلى شلّ القيم الدينية الإسلامية.. وقد نجح إلى حد بعيد؛ إذ خلقوا لفترة سبعين سنة خلت أجيالاً متعاقبة لا تفقه من الإسلام شيئًا، ولا تحفظ من القرآن إلا آيات معدودات؛ **ولهذا كان من اليسير غزوهم وبلبلة أفكارهم(٢)، ولله در الأستاذ إبراهيم لتعليله الصائب والمتفق مع واقعنا!**

السياسة التوجيهية العامة:

تحت هذا العنوان يشرح الأستاذ إبراهيم خليل مجال نشاط المستشرقين والمبشرين الذي يبلغ المدى البعيد بين صفوف رجال التوجيه في بلدان الشرق، ولهم في ذلك وسائلهم الخاصة في تفريق شمل المسلمين وإضعاف شوكتهم، والعمل على الغضّ من اللغة العربية التي هي في نظرهم لغة القرآن الكريم.

ووسائلهم في توجيه الرأي العربي إلى ما يريدون -بطريق غير مباشر- يتم بصورتين:

- **الصورة الأولى**: استخدام تلاميذ المستشرقين والمبشرين (عملاء الاستعمار) من الوطنيين الذين درسوا بجامعاتهم وتشربوا بمبادئهم، وهؤلاء -وقد أصبحوا قادة الفكر- **إنما ينفذون سياسة المستعمر** بقصد أو بغير قصد منهم وبإيحاء من توجيهات المستشرقين والمبشرين.
- **الصورة الثانية**: كتابة بعض الغربيين مؤلفات عن الثقافة الإسلامية، وعمل موازنات بينها وبين الثقافة الغربية (النصرانية)، ثم العمل على تشويه الحقائق(٣).

---

(١) نفسه ص ١٤٨.

(٢) نفسه ص ٥٨.

(٣) نفسه ص ٦٥.

أما الصورة الأولى: فتتلخص في قيام بعض المفكرين من المسلمين بحركة تقدمية في الإسلام، وعلى غير قصد منهم، يقررون سياسة المستعمر، ويثبّتون ولايته على المسلمين من الوجهة الإسلامية بطريقة ما يُسمى بإدخال نظم الإصلاح بينهم، وكان من تلاميذ الاستعمار في تحقيق هذه الصورة (السير أحمد خان) بالهند الذي اشتهر بحركته العلمية القائمة على الافتتان بالعلم الطبيعي وبالحضارة الغربية على حساب القيم الروحية والمثالية التي تقوم عليها رسالة الأديان السماوية التي يمثلها الإسلام أوضح تمثيل.. ولم يكن أحمد خان داعية فقط لهذا التجديد أو لهذه التقدمية في الإسلام، بل كان كذلك صحفيًا ومؤلفًا ومدرسًا ومشرفًا على كلية علمية دينية هي (الكلية الإنجليزية الشرقية المحمدية).. وأثّرت حركته فيما بعد في خلق المذهب القادياني والأحمدية بالهند. أما افتراءات المستشرقين وكتاباتهم أمثال المستشرق الإنجليزي (جُب)، أستاذ الدراسات العربية بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية، الذي يتفق مع جوهر كتابه (المذهب المحمدي) وأيضًا مع كتاب سنكلير تسدل (مصادر الإسلام)؛ من أن شرائع الإسلام تأسست من شرائع الأديان المعاصرة له والمنتشرة وقتئذ في الشرق، ألا وهي اليهودية، والمسيحية، والهندية، والصابئة، والفارسية، والجاهلية(١).

الصورة الثانية من صور توجيه المستشرقين والمبشرين للرأي العام العربي الإسلامي:

وهي قيام بعض العلماء الغربيين بإبراز الخلافات المذهبية وتأكيد الفجوات والثغرات بين الطوائف والشعوب الإسلامية من الجهة الشعوبية أو الجغرافية أو نظام الحكم.

وهؤلاء العلماء قد يفدون إلى البلاد في سياحة في الشرق، يعودون على أثرها وقد أعدوا العدة للكتابة، مؤيدين ما يكتبونه بالصور الفوتوغرافية التي يلتقطونها، أو بالرسوم التي يرونها من واقع الحياة في خيالهم السابح في الأوهام؛

---

(١) نفسه ص ٦٥/ ٦٧ باختصار.

مما يسيء إلى مكانة الدول الشرقية في الخارج. وهذه الكتب تُكتب عادة بأسلوب تهكمي قصصي يغذي خيال الشعوب الغربية الأوروبية والأمريكية، ولها أثر سيئ في تصوير المسلمين تصويراً غير حقيقي[١].

وينتهز المستشرقون هذا اللون من الكتابة فيدونون -باسم البحث العلمي- كتباً في علم الأجناس ونفسية الشعوب فيها، ويخرجون من هذا بقولهم: **إن مفهوم الإسلام يختلف باختلاف الشعوب**، فهناك إسلام الهند، وإسلام تركيا، وإسلام البربر في شمال أفريقيا، وإسلام مصر، وإسلام الملايو وإسلام إندونيسيا، وإسلام الصحراء الكبرى، وإسلام إفريقيا السوداء. وكل إسلام يختلف عن الآخر باختلاف الجنس، ولكل إسلام في فهم القرآن والسنة طريق خاص يوافق المصادر التي يستقي منها منهاجه وشريعته![٢].

وبعد وفرة المعلومات التي أزاح عنها الستار الأستاذ إبراهيم خليل وكانت خافية عن أعيننا، نستنتج منها نشاط المبشرين والمستشرقين الذي لا يفتر، **وأنه آخذ في الاستمرار والزيادة حتى يومنا هذا**، بل وربما أضاف إليها معاهد ومدارس ومؤسسات تحت عناوين أخرى؛ للإمعان في التخفي والتمويه، مع اقتصار الأمر على مصر وحدها، ثم قسْ على ذلك باقي البلاد العربية والإسلامية!!

ويكاد ينزعج الباحث من هول الأنشطة المكثفة والمستمرة للمستشرقين -كما مرّ بنا- من حيث تشعبها ونفوذها القوي بواسطة المدارس والإرساليات، والجامعات، والدعم المالي والنفوذ السياسي بواسطة الاستعمار وعملائه، فضلاً عن المؤتمرات المتتالية المنعقدة لدراسة النتائج وابتكار وسائل جديدة تضمن تحقيق أغراضهم الخبيثة.

ولكن سرعان ما يتذكر قوله تعالى: **﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾**.

---

(١) نفسه ص ٧٠.

(٢) نفسه ص ٧١.

أي: يحاولون أن يردوا الحق بالباطل، ومثلهم في ذلك كمن يريد أن يطفئ شعاع الشمس بفيه، وكما أن هذا مستحيل كذلك ذاك مستحيل؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾(١).

ويصف روجيه دوباسكويه أحوال المسلمين بقوله: (ما زالت الغالبية العظمى من المسلمين على إيمانها. ما زال الله تعالى عندهم حق، بل الحقيقة، ويصلي كثيرون بانتظام.. وانتشار الإسلام في مقابل خفوت المسيحية هو أحد الحقائق العظمى في التاريخ الحديث)(٢).

ويعود في موضع آخر من كتابه فيرصد ما لاحظه من الواقع فيقول: (**ولا يمكن إنكار أن حياة المسلم وفقًا للشريعة تعاني اليوم انحطاطًا لم يسبق له مثيل منذ عصر النبوة.** بالطبع هناك أعداد لا تُحصى من المؤمنين المتمسكين بدينهم بإخلاص، ولكن يحتاج الأمر إلى مزيد أكبر وأكبر من الإصرار والمثابرة والجهد. ويغري أولئك المتمسكين بدينهم ما جاء في الحديث: «**يأتي على الناس زمان الصابر منهم على دينه كالقابض على الجمر**»)(٣). صلى الله عليه وسلم

ولكنه في الوقت نفسه يغلّب روح التفاؤل بالثقة بعناية الله عز وجل للإسلام، فيقرر أن هذا الدين -ويصفه بأنه خاتم التنزيل الإلهي- ينتشر في وقتنا الحالي بالعناية الإلهية، ويعطي لعصرنا المظلم أشعة الشمس الأخيرة ليوم ذاهب ذابل؛ تعبيراً عن الرحمة الإلهية التي تنادي البشر حتى نهاية العالم)(٤).

هذا، وربما كان مردُّ تفاؤله أيضًا إلى كاتبين أحدهما إنجليزي Hilaire Belod، والثاني ألماني وهو باول شمتز.

---

(١) مختصر تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، اختصار احمد محمد شاكر جـ٣ ص ٤٥١، ط دار الوفاء بالمنصورة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٢) روجيه دوباسكويه (إظهار الإسلام) ص ٥، مطابع الشروق سنة ١٩٩٤م.

(٣) نفسه ص ١٢٣ .

(٤) نفسه ص ٩٢ .

أما الأول الذي تنبأ بأن التاريخ سيعيد نفسه، مبتدئًا من الشرق، عودًا على بدء من المنطقة التي قامت فيها القوة العالمية الإسلامية، في الصدر الأول للإسلام؛ لأن حضارته تحمل في طياتها عقيدة، وترتبط أجزاؤها برباط متين[1].

ويصف الثاني انتفاضة العالم الإسلامي بأنها صوت نذير لأوروبا، وأنه العملاق الذي بدأ يصحو وينفض النوم عن عينيه. قائلاً: (هل يسمعه أحد؟ ألا من مجيب؟)[2].

الطبعة الثانية

هذا، وقد دعا الدكتور محمد البهي في مقدمته للكتاب الثاني المسلمين لكي يزدادوا إيمانًا بالإسلام بالتمسك به، إبقاء على وجودهم، ووسيلتهم الاستمساك بـ«الوحدة الإسلامية» على أساس الرجوع إلى القرآن والسنة الصحيحة، وكانت دعوة الحركات الإسلامية منذ القرن الثامن عشر صدًى لدعوة ابن تيمية.

ولم يفته التحذير من القوى الاستعمارية التي حاربت تلك الحركات الإسلامية ووقفت لها بالمرصاد خشية على حضارتها، فقال: (واضطُهد ابن تيمية، واضطُهدت الوهابية، واضطُهدت السنوسية، إما بفعل الاستبداد الداخلي في الحكم أو بفعل الاستعمار وأعداء المسلمين، وشُوِّه جمال الدين الأفغاني فيما كتبه المؤرخون نقلاً عن أعدائه الأوربيين؛ لأنه صاحب «الجامعة الإسلامية»، وهي دعوة تعصب الاستعماريين المستغلين)[3].

ويتضح لمن يقوم بتحليل مؤلفات المستشرقين أن دوافعهم تتشكّل من رواسب نفسية وعصبيات شتى، فضلاً عن أدوارهم كمبشرين سابقين، وفي هذا المعنى يقول الكاتب النمساوي ليوبولد فايس (محمد أسد): (لقد نشأت مناهج المستشرقين وتبلورت في القرن الذي بلغت فيه حركة الاستعمار لعالم الإسلام ذروتها.. وفيما يتعلق بالإسلام فإن الاحتقار التقليدي أخذ يتسلل في شكل

---

(١) باول شمتز (الإسلام قوة الغد العالمية) ص ٣٢٣، ترجمة د/ محمد شامة، ط مكتبة وهبة بالقاهرة سنة ١٩٧٤م.

(٢) نفسه ص ٣٢٤.

(٣) مقدمة الكتاب ص ١٧.

تحزب غير معقول إلى بحوثهم العلمية، ويبقى هنا الخليج الذي حفره التاريخ بين أوروبا والعالم الإسلامي منذ الحروب الصليبية غير معقود فوقه بجسر. ثم أصبح احتقار الإسلام جزءاً أساسياً من التفكير الأوروبي. والواقع أن المستشرقين الأولين في الأعصر الحديثة كانوا مبشرين نصارى يعملون في البلاد الإسلامية، وكانت الصورة المشوهة التي اصطنعوها عن تعاليم الإسلام وتاريخه مدبرة على أساس يضمن التأثير في موقف الأوروبيين من الوثنيين، غير أن هذا الالتواء العقلي قد استمر، مع أن علوم الاستشراق قد تحررت من نفوذ التبشير، ولم يبق لها عذر من حمية دينية تسيء توجيهها. **أما تحامل المستشرقين على الإسلام بغريزة موروثة وخاصة طبيعية تقوم على المؤثرات التي خلّفتها الحروب الصليبية، بكل ما لها من ذيول في عقول الأوروبيين**)[1]، وهو ما سيتضح بصورة أشمل من دراستنا بالفصل التالي.

(١) الإسلام على مفترق الطرق ص ٦٠ / ٦١، ترجمة عمر فروخ ط ٦، دار العلم للملايين، بيروت سنة ١٩٦٥م.

فصل

تصويب أباطيل تلاميذ المستشرقين

سبق للدكتور محمد البهي أن نبّه وحذّر من تفكير المستشرقين وهم (أهل كتاب) من قساوسة المسيحيين أو علماء اللاهوت من اليهود، معللاً تقليدهم بنسيان المسلمين لماضي أسلاف هؤلاء القوم مع المسلمين على عهد ظهور الإسلام، ونسوا اتهاماتهم للرسول ﷺ ولكتابه إذ ذاك.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥]، وقوله عز وجل: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١] (١).

كذلك ناقش الدكتور البهي أيضاً مقلّدي المستشرقين أمثال: محمد أركون في كتابه »الفكر الإسلامي: نقد واجتهاد)، الذي تحدث فيه عن سورة التوبة وحقوق الإنسان والعلاقة بالآخر غير المؤمن.. وهو في اتباع القسمة الثنائية (فقراء/أغنياء)، تصبغه بالماركسية بامتياز حيث استبعد البعد الديني، وكان البعد الاقتصادي هو السبب الجوهري(٢).

هذا، وقد تتبعت الباحثة نائلة أبو نادر في كتابها (التراث والمنهج بين أركون والجابري)، فعلّلت إبراز أركون الفئة الشاذة في التراث، فقالت: (إن أركون ينتمي إلى أقلية بربرية وسط أكثرية عربية، وهذه الأقلية مهمّشة ومبعدة، وهذه العملية والتجربة أثّرت في مساره الفكري فجعلته دائماً يجنح صوب الأقليات ويعمل على الترويج لها ولفكرها المخالف للأكثرية)(٣).

---

(١) د/ محمد البهي (كتاب الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي) ص ٢٢٢، مصدر سابق.

(٢) نفسه ص ٦٤-٦٦.

(٣) نفسه ص ٦٠.

وقد علّق الشيخ محمد الغزالي بدوره على إنكار أركون الوحي الإلهي وتكذيبه للقرآن بأنه ليس منهجًا علميًّا ولا قريبًا من العلم.. يعلّق فيقول: (ونحن نوجه السؤال إلى المسئولين في جامعة السربون: هل هذا هو أسلوبكم في دراسة القرآن والتحامل عليه؟ هل هذا أساس الإجازات العلمية التي تمنحونها؟ هل هذه نزاهة البحث وتحري الحقيقة؟.. إن معالجة البحوث الإسلامية بهذا المنهج شيء مضحك حقًّا، ألا فلنعرف قيمة هذه الجامعات الخادعة ومشاعر الحقد الأعمى التي تستخفي وراء ألقابها!)(١).

ويشكك أركون أيضًا في كتب التاريخ والسيرة فيقول: (ثم أصبحت هذه الصورة الأسطورية المضخمة التي شكلتها الأجيال المتتالية تحجب عنا الصورة الحقيقية، وضاعت الكثير من المصادر والوثائق ولم نعد قادرين على التوصل إلى الحقيقة)!!(٢).

حاشية:

ولا يسعنا إزاء هذا اللغو الباطل إلا التصدي له لبيان جهله المطبق بأوليات مناهج البحث، وبخاصة عند علماء الحديث. ولا يعنينا شخصه، فربما ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧]، وقوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]، وفي التفسير يقول الإمام ابن كثير: (..وما أشبه ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى إنما ختم على قلوبهم وحال بينهم وبين الهدى) جزاءً وفاقًا على تماديهم في الباطل وتركهم الحق)(٣).

---

(١) محمد الغزالي (الحق المر) جـ٢ ص ٨٠، دار الشروق ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

(٢) ماجد بن محمد الأسمري (العلمانية والنبوة -أبعاد التحريف العلماني لمقامات النبوة) ص ١٧٦ ط (تكوين) -لندن ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

(٣) مختصر تفسير القرآن العظيم جـ١ ص ٧٧، اختصار أحمد محمد شاكر - دار الوفاء بالمنصورة - ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

ونقول: لا يعنينا شخصه، ولكنْ إشفاقًا منّا على المخدوعين به وبأمثاله، فإنه من واجبنا إيضاح تلك القضية بواسطة العلامة الشيخ أحمد شاكر الذي قام بالرد على أمثال أركون فقال: (ولكن المؤلف -فيما أرى- لم يدرس علم الحديث دراسة وافية، ولم يطلع على ما بذل علماء الحديث في الصدر الأول من جهد، وما استنبطوا من قواعد لرواية الأخبار والآثار، حتى ينفوا عنه الدخيل، وينقّوها من الخطأ والعمد في التغيير، حتى تبرز صحيحة واضحة نقية، فوضعوا الشروط الدقيقة في الراوي الذي يأخذون عنه الحديث، وفي المروي الذي يرويه، وجعلوا أساس هذا كله العدالة، عدالة الناقل المحدث -بما في ذلك شروط العدالة المعروفة من دقة، تجعل الراوي موضع ثقة، بما عُرف عنه من أمانة وصدق، وشرطوا ألا يخالف الحديث المروي كتاب الله، ولا المعلوم من الدين بالضرورة، ولا ما رواه كافة الرواة الثقات العدول.. وكانت الأمة الإسلامية في القرون الثلاثة الأولى أمة صدق وأمانة في مجموعها، وكان الجريء على الكذب نادراً، وكان المسلمون -ولا يزالون- يعرفون أن الكذب على رسول الله ﷺ من أعظم الجرائم، وهم يوقنون بما تواتر عنه ﷺ: «**من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار**»)(١).

إن حجية أقوال النبي ﷺ اعتقدها الصحابة رضي الله عنهم، وتمثّلوها في كافة شؤونهم الحياتية، فقد لبس رسول الله ﷺ ذات يوم خاتمًا، فلما رآه الصحابة حذوا حذوه ولبسوا كلهم خاتمًا مثله.. وكانوا يدركون أن أمره ونهيه وحي من الله تعالى؛ لذا لا يتقاعسون عن التطبيق ولا يتأخرون عن الامتثال والتأسي.

ولا كما زعم نصر حامد أبو زيد أن الشافعي هو مؤسس الحجية!! وحاول العلمانيون التشكيك في الإسراء والمعراج أمثال الجابري وحسن حنفي وعبد المجيد الشرفي.. وهذا الأخير يرى (أن حديث **الإسراء والمعراج** الذي ذُكر فيه خمسون صلاة حتى وصلت إلى خمس صلوات هو حديث أسطوري وغير ثقة) ص٨٩،

---

(١) جمهرة مقالات العلامة الشيخ أحمد شاكر - جمع: عبد الرحمن العقيل جـ١ ص ٣٣١، دار الرياض ٢٠٠٥م.

ويصرُّ العلمانيون أن وثيقة المدينة هي أول وثيقة مدنية علمانية.. واندفع طيب تيزني ليصف تلك المرحلة الباكرة بأنها أول بناء للمجتمع العلماني.

هذا، وقد رد الله تعالى على مكذّبي محمد ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنبياء: ٨ – ٩].

في تفسير تلك الآيات قال العلامة السعدي: (هذا جواب لشبه المكذبين للرسول ﷺ القائلين: هلا كان ملكًا، لا يحتاج إلى طعام وشراب، وتصرّف في الأسواق؟ وهلا كان خالداً، فإذا لم يكن كذلك -دلّ على أنه ليس برسول- وهذه الشُّبه ما زالت في قلوب المكذبين للرسل، تشابهوا في الكفر، فتشابهت أقوالهم، وأجاب تعالى عن هذه الشُّبه لهؤلاء المكذبين لرسول الله ﷺ، للمقرّين بإثبات الرسل بكلمه، ولو لم يكن إلا إبراهيم عليه السلام، الذي قد أقر بنبوته جميع الطوائف، والمشركون يزعمون أنهم على دينه وملته، بأن الرسل قبل محمد ﷺ كلهم من البشر يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، وتطرأ عليهم العوارض البشرية من الموت وغيره.. فما بال محمد ﷺ، تقام الشُّبه الباطلة في إنكار رسالته وهي موجودة في إخوانه المرسلين، الذين يقرّ به المكذبون لمحمد ﷺ، فهذا إلزام لهم في غاية الوضوح)(١).

الأدلة على حجية سنة الرسول ﷺ:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

---

(١) الشيخ السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ص ٤٩٥، وهو يعني الرد على اليهود والنصارى، ط مكتبة الصفا بالأزهر ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

والردُّ إلى الله هو الرد إلى الكتاب، والرد إلى الرسول ﷺ هو الرد إلى سنته بعد موته. وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ [المائدة: ٩٢]، وسائر ما قرّر فيه طاعة الرسول ﷺ بطاعة الله، فهو دال على أن طاعة ما أمر به ونهى عنه في كتابه، وطاعة الرسول ﷺ ما أمر به ونهى عنه مما جاء به مما ليس في القرآن؛ إذ لو كان في القرآن لكان طاعة الله، وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور: ٦٣]، فقد اختص الرسول ﷺ بشيء يطاع فيه، وذلك السنة التي لم تأت في القرآن. وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤][1].

وأضاف إلى ذلك أن بيان السنة هو مراد الله تعالى، فإذا طرحت واتبع ظاهر الصيغ بمجرد الهوى صار صاحب هذا النظر ضالاً في نظره، جاهلاً بالكتاب خابطًا في عمياء لا يهتدي إلى الصواب؛ إذ ليس للعقول من إدراك المنافع والمضار في التصرفات الدنيوية إلا النزر اليسير، وفي الأخروية أبعد على الجملة والتفصيل[2].

وما أكثر الآيات القرآنية التي تبرهن على حجية السنة مثل قوله تعال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾، وقوله تعالى: ﴿رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾.

---

(١) الشاطبي (الموافقات في أصول الشريعة) جـ٤ ص ١١، تحقيق الشيخ بن عبد الله دراز وابنه محمد. دار الكتب العلمية ببروت.

(٢) نفسه ص ١٥.

وكذلك أحاديث الرسول ﷺ، منها:

«أوتيت القرآن ومثله معه».

«لألفين أحدكم جالسًا على أريكته يقول ما أحل الكتاب أحللناه وما حرمّه حرمناه، ألا وإني أمرت ووعظت ونهيت عن أشياء إنها لمثل هذا القرآن أو أكثر»(١).

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٦].

يرى الشيخ السعدي هذا فيه تنبيه أيضًا على **كمال رسول الله ﷺ، ورفعة درجته، وعلو منزلته عند الله وعند خلقه، ورفع ذكره**، و(أن الله) تعالى (وملائكته يصلون على النبي) أي: يثني عليه الله بين الملائكة، وفي أعلى الملأ؛ لمحبته تعالى إياه. وتثني عليه الملائكة المقربون، ويدعون له ويتضرعون، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾، اقتداء بالله وملائكته، وجزاء له على بعض حقوقه عليكم، وتكميلاً لإيمانكم، وتعظيمًا له ﷺ، ومحبة وإكرامًا، وزيادة في حسناتكم، وتكفيراً عن سيئاتكم. وأفضل هيئات الصلاة عليه الصلاة والسلام، ما علمه أصحابه: «اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد»، وهذا الأمر بالصلاة والسلام عليه مشروع في جميع الأوقات، وأوجبه كثير من العلماء في الصلاة)(٢).

وفي الرد على أولئك يقول د/ لطفي جمعة: (وللإسراء بالروح أدلة وسند، وللإسراء بالجسد أدلة وسند، والعلم الحديث يقر بالإسراء بالروح: اللاسلكي والتنويم المغناطيسي والتلبث أو علم ما يحدث في أماكن بعيدة...) إلخ.

---

(١) رواه أبو داود وحسّنه الألباني.

(٢) تفسير السعدي ص ٦٤٤.

وسمع أبو بكر من الرسول ﷺ وصف بيت المقدس فقال له: (صدقت يا رسول الله)، والدليل أن الإسراء كان بالجسد أنه ﷺ وصف عيراً مر بها في الطريق فضلت دابة فدلّهم عليها، وأنه شرب من عير أخرى وغطى الإناء بعد أن شرب منه، فسألت قريش عن ذلك فصدّقت العير أن ما روى الرسول ﷺ عنهما[1].

هذا، وقد كتب الشيخ عبد العزيز بن راشد النجدي تحت عنوان: (**فصل في تواتر المعراج وأنه مرة واحدة وكذا الإسراء**)، كتب يقول: (وقد ثبت بالتواتر المقطوع به المعراج جملة لما رواه مالك بن صعصعة وأنس بن مالك وأبو ذر الغفاري وابن عباس وأبو بكر بن حزم وجابر بن عبد الله وأبو هريرة وابن مسعود وأحاديث هؤلاء في البخاري ومسلم، كما ثبت عنهم وعن غيرهم في غيرهما كما أن أصل ما بينته هذه الأحاديث بوحي من الله تعالى على نبيه ﷺ ثابت بالقرآن، وقد مّر إجمالاً ذلك ولا ينكر هذا أو يتأوله بما لا يدل عليه عقل ولا لغة إلا من كان في قلبه زيغ وإلحاد في آيات الله)[2].

البرهان العلمي على رحلة الإسراء والمعراج للرسول ﷺ:

أما الدكتور الحسيني؛ فقد انتهى في عرضه للنظريات العلمية إلى أن تقريراتها أصبح لها صفة الشمولية وتتخذ طابعاً غيبيًا بدرجة كبيرة، وأصبح لزامًا على الإنسان توسيع دائرة فكره ومداركه لاستيعاب مثل هذه الفرضيات والنتائج الجديدة.

هذا، وقد ذكر على سبيل المثال، أن أحد نتائج حلول معدلات الجاذبية العامة، قد ألقت الضوء على احتمال وجود أكوان أخرى ذات طبيعة زمنية مخالفة لكوننا هذا. فقد أعطت أحد هذه الحلول نموذجًا لكون الزمن فيه لا يمتد إلى ما لا نهاية

(١) د/ محمد لطفي جمعة (ثورة الإسلام وبطل الأنبياء ﷺ)، مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٨م ص ٦٧٣.

(٢) عبد العزيز بن راشد النجدي (أصول السيرة المحمدية) ص ٦٠/ ٦١ ط٢ سنة ١٣٩٨هـ دار الطباعة والنشر الطبي، مبنى المدينة الطبية، محطة مصطفى كامل

(مثل كوننا هذا)، بل إن زمن هذا الكون له قيمة محدودة ودوري، وهو ما يعني أن أحداث هذا الكون تتكرر تمامًا -كما هو بالضبط- كلما انتهت الفترة الزمنية المحدودة لعمر هذا الكون الدوري، ويشبه هذا المثل الأحداث التي تجري على شريط فيلم سينمائي (أو شريط فيديو)، حيث يُعاد عرضها كلما انتهت، وهكذا بصفة دورية.

وقد استطرد في هذا البحث إلى القول بأنه تاريخيًا نجد أن مثل هذا النوع من الأكوان قد جاء ذكره في مرائي الرسول ﷺ، في رحلة الإسراء والمعراج، وذلك عندما عُرج به إلى السماوات أو الأكوان الموازية. وبهذا نجد أن غيبيات قضية دينية يمكن أن يشير إليها أحد حلول المعادلات الرياضية/ الفيزيائية، والتي نتجت من قضايا كونية يمكن إدراكها بطريقة مباشرة، ألا وهي معادلات الجاذبية العامة)(١).

هذا ما ذكره في كتابه (الحقيقة المطلقة..) بإجمال ثم عرض القضية بتفصيل بكتابه التالي، وهو بعنوان: (الدين والعلم وقصور الفكر البشري).

حادثة «الإسراء والمعراج»... وسيناريو الوجود(٢):

وتحت هذا العنوان قال أيضًا: وقصة «الإسراج والمعراج»، هي -ببساطة شديدة- تمثل رحلة الإنسان إلى العوالم الأخرى (الأكوان الموازية) التي أخبرنا بوجودها المولى عز وجل في قرآنه المجيد، والتي أعطانا من العقل والمنطق والعلم ما يكفي للبرهنة على وجودها على وجودها. وفي الواقع تمثل هذه العوالم الامتداد الزماني والمكاني لقصة وجود الإنسان وسيناريو أحداثه. فكلنا يعلم -ما من بشر تخطى حاجز الموت- ثم عاد ليخبر الناس بما رآه في هذه العوالم، ولهذا لم يكتف

---

(١) د/ مهندس محمد الحسيني إسماعيل (الحقيقة المطلقة.. الله والدين والإنسان، ص ١٢٢ مطابع الأهرام (موافقة مجمع البحوث الإسلامية) بتاريخ ٤/٣/١٩٩٦م، وقد حرص بالحاشية على بيان (الأكوان الموازية بالقرآن الكريم أعم وأشمل من فكر الأكوان الموازية التي جاءت بها ميكانيكا الكم والنظرية النسبية وفلسفتها. ويقع الكتاب في ٥٣٥ صفحة من القطع الكبير.

(٢) دكتور مهندس محمد الحسيني إسماعيل (الدين والعلم وقصور الفكر البشري) ص ٢٢٦ ط، مكتبة وهبة بالقاهرة ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، ويقع الكتاب في ٥٩٢ صفحة من القطع الكبير.

المولى عز وجل بهذا الإخبار البرهاني عن هذه العوالم الغيبية، بل ذهب إلى أبعد من هذا، فيأخذ «ممثل البشرية» متمثلاً في رسوله الصادق الأمين محمد ﷺ كشاهد عيان على وجود هذه العوالم؛ لرؤية استكمال سيناريو قصة وجود الإنسان، وليلتقي بمن سبقوه من الرسل والأنبياء ليصلي بهم، تحقيقًا لقوله:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

ثم يعرج به -أي بالرسول ﷺ- إلى السماوات (الأكوان الموازية) ليريه المولى عز وجل من آياته في خلقه، ثم يعود أدراجه ليخبر البشرية -بني جنسه- على وجود هذه العوالم.. [(١)]. صلى الله عليه وسلم.

وعندما قوبل بعدم التصديق، وطالبوه بوصف بيت المقدس، فوصفه لهم، وأخبرهم بالعير (القافلة) التي رآها في الطريق، فدلّهم عليها، وأنه شرب من عير (قافلة أخرى) وغطى الإناء بعد أن شرب منه. فسألت قريش العيران (القافلتان) -بعد أن وصلوا مكة- فصدقته!![(٢)]. صلى الله عليه وسلم.

وهكذا تتأكد المعجزة من ثلاثة جوانب مادية مختلفة، هي: وصف المسجد، والدابة التي ضلت طريقها في أحد القوافل، والشرب من إناء قافلة أخرى؛ لتكون أدلة صدق مادية على حدوث تلك المعجزة.. وتدخل -ضمن ما تدخل- في البرهنة على صدق وصحة القرآن المجيد نفسه.

وتحت عنوان [**الصحيفة الدستور الأساسي للدولة الإسلامية**] قال الدكتور إبراهيم العدوي: (وصاحب إنشاء المسجد قيام الرسول الكريم ﷺ بوضع دستور ضمّنه مبادئ عامة يتبعها أهل المدينة، ولتكون أساسًا لبناء دولة تكفل لهم السلامة والاستقرار، مع تحقيق الهدف السامي لهم، وهو نشر الدين الإسلامي.

(١) نفسه ص ٢٢٦/٢٢٧.

(٢) نفسه ص ٢٢٩.

ويعرف هذا الدستور باسم «الكتاب» أو «الصحيفة»، وذلك على نحو ما جاء في مؤلفات المؤرخين المسلمين)[١].

ثم عرض المبادئ المهمة في هذا الدستور، مبينًا أنها استندت على قاعدة مفهوم الأمة، وذلك وفق النص التالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، أنهم أمة واحدة من دون الناس»[٢].

ويعتبر هذا الدستور وما تضمنه من مبادئ تحولاً للجماعة التي بدأت دينية خالصة في الدور المكي الأول، إلى جماعة دينية سياسية في المدينة، كما يعتبر هذا التحول تأسيسًا للدولة الإسلامية التي أخذت تنمو نموها التاريخي المشهور على يد الرسول الكريم ﷺ، ثم على يد خلفائه من بعده[٣].

ويقول الدكتور محمد لطفي جمعة:

وإذا نظرنا إلى هذه الوثيقة في ضوء العلم الحديث وجدناها للوهلة الأولى مشارطة لتنظيم العلاقات بين المهاجرين والقبائل العربية النازلة بالمدينة طرفًا أولاً، وبين هذا المجموع واليهود النازلين بها والمجاورين لهم طرفًا ثانيًا. فنحن حيال وثيقة سياسية أساسية أملاها الرسول ﷺ وأعطاها قوة القانون الدستوري، لا تحكمًا في إرادة المتعاقدين ولا خضوعًا لمشورتهم، ولكن حلاً لمشكلتهم وتمهيداً لسيادة أحكام الله تعالى والنظام الحكومي المدني.. ووصفها المستشرق ويلهوزن بأنها: **«وقعت لنا من السماء»، إننا حيال عمل تأسيس للحياة الداخلة للمجتمع الإسلامي في أول نشأته**[٤].

---

(١) د/ إبراهيم أحمد العدوي، أستاذ التاريخ الإسلامي (سيرة رسول الإسلام ﷺ في التفسير التاريخي لآيات القرآن الكريم) ص ١٣٨، مكتبة الشباب بالمنيرة –بدون تاريخ.

(٢) نفسه ص ١٤٠.

(٣) نفسه ص ١٤٤.

(٤) ثورة الإسلام ص ٧٠٥–٧٠٦، وقد كان الدكتور جمعة يتقن اللغة الألمانية، وذكر عنوان كتاب ويلهوزن باسمه الألماني (جـ٤ ص٨٣).

لقد رأى رسول الله -ﷺ- الفرصة سانحة لتأسيس النظام الذي تقوم عليه دولة الإسلام، فأعلنه الله تعالى، فكتب العهد المشهور الذي وصفه المستشرقون بأنه دستور المدينة. قال ابن إسحاق: (وكتب رسول الله ﷺ كتابًا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم، واشترط عليهم وشرط لهم)، ويعلق د/ جمعة فيقول: (وهذه الوثيقة الكبرى لا مجال للبحث في صحتها وصدق روايتها، ولا موضع شك في حقيقتها، فإن أسلوبها ومادتها شاهدان بأنها من إملاء رسول الله ﷺ في زمنها ومكانها.. وقد أوردها ابن إسحاق بنصها كاملاً (وهي بصفحات ٣٤١-٣٤٤ من سيرة ابن هشام عن ابن إسحاق)[١].

وكان ذلك أيضًا هو نفس رأي الدكتور عبد الرحمن سالم المؤرخ الإسلامي؛ إذ ذكر أنه كان من أهم ما بدأ به الرسول -ﷺ- حياته في المدينة؛ أن كتب كتابًا نظّم فيه العلاقة بين المسلمين وغيرهم في المدينة، وأشار إلى هؤلاء جميعًا بأنهم «أهل هذه الصحيفة»، أي هذا الكتاب الذي كتبه. ومن هنا يطلق الكثير من الباحثين المحدثين على هذه الصحيفة -بحق- مصطلح «دستور المدينة» (The consti-tution of madiina)، أو «ميثاق المدينة» (The charter of madina).

ومن مصادره كتاب (الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة) للدكتور محمد حميد الله[٢].

هذا، وقد أورها ابن هشام بكتابه تحت عنوان: (الخطب والعهود بالمدينة)، ويتضمن خطبتين للرسول ﷺ، قال في آخر الأولى: «.. فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإن بها تُجزى الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف..»، ومما قاله ﷺ في خطبته الثانية:

---

(١) نفسه ص ٧٠٢/٧٠٣.

(٢) د/ عبد الرحمن احمد سالم (استاذ التاريخ الإسلامي بكلية دار العلوم)، الرسول ﷺ: حياته وتطور الدعوة الإسلامية في عصره ص ١١٤، ط دار الفكر العربي - مدينة نصر القاهرة ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

«إن أحسن الحديث كتاب الله -تبارك وتعالى- وقد أفلح من زيّنه الله في قلبه، وأدخله في الإسلام بعد الكفر واختاره على ما سواه من أحاديث الناس، إنه أحسن الحديث وأبلغه، أحبوا ما أحبَّ الله، أحبوا الله من كل قلوبكم، ولا تملّوا كلام الله وذكره، ولا تقسُ عنه قلوبكم، فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفي، قد سمّاه الله خيرته من الأعمال (أي الذكر وتلاوة القرآن، لقوله تعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ (أي وسمى المصطفى من عباده)، ومن كل ما أوتي الناس من الحلال والحرام، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، واتقوه حق تقاته، واصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم، وتحابّوا بروح الله بينكم).

وذكر رسول الله ﷺ كلمة «الصحيفة» في هذه الخطبة أربع مرات.. منها قوله: **«وأنه لا يحل لمؤمن أقرّ بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينشر مُحدثًا ولا يؤويه..»**، وقال: **«وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرّه..»**، وفي عبارة أخرى: **«وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبرّه..»**[1]. صلى الله عليه وسلم

(١) عبد السلام محمد هارون (تهذيب سيرة ابن هشام) ص ٨٩/ ٩٢ باختصار شديد، مكتبة القرآن - عابدين- القاهرة سنة ١٩٩٦م.

فصل

صلة تحيّز الفكر الأوروبي بانحراف المستشرقين

يقول الدكتور محمد البهي: (وحرية البحث أو حرية التعبير التي تدعيها الثقافة الأوروبية -الغربية منها والشرقية على السواء- مفهوم يردده الفكر العلماني الصليبي وكذلك الفكر الماركسي الإلحادي، دون أن يكون له واقع غير ما يريده الاعتقاد بأيديولوجية معينة هنا وهناك في أي مجتمع من المجتمعات الأوروبية)(١).

ويرى أن ما يتغنى به الفكر الأوربي ما هو إلا تعسف وشطط في التحيز لجانب معين، وليس تعبيراً عن حرية البحث أو حرية التعبير.

ثم يوجه نصيحته للشرقيين فلعلهم يستيقظون يومًا، فلا ينخدعوا بالحرية في الفكر الأوروبي ويصرفوها في حياتهم للتنكر للإسلام فيفقدوا استقلالهم ويقعوا في التبعية الجارفة للتفكير الأوروبي في شرقه أو في غربه(٢).

هذا، وقد قام بحصر المستشرقين وفق ثلاثة جداول في نهاية كتابه:

-**الأول**: المستشرقون المعاصرون.

-**الثاني**: الخطرون الذين تعد كتاباتهم حجة بين الغربيين أو لآرائهم شبه حجية بين المسلمين.

-**الثالث**: بعض الكتب الخطيرة المشوهة للإسلام والشائعة الانتشار أو لها شبه حجية عند المسلمين(٣).

في حجية سنة الرسول ﷺ:

جعل اجتهادات الرسول ﷺ غير ملزمة، وهو مجرد فهم خاص به مرتبط بالمستوى المعرفي للجزيرة العربية في تلك الفترة وهو فهم نسبي، وهذا حسب ما

---

(١) (٢) د/محمد البهي (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي) ص ٨ ط٥، دار الفكر -بيروت ١٩٧٠م.

(٣) من ص ٥٣٨ إلى ص ٥٦٢ نفس المصدر.

زعم شحرور ونصر حامد أبو زيد ومحمد أحمد خلف الذي قال: (إن تفسير الرسول ﷺ للقرآن قول بشر وهو غير ملزم أن يؤخذ به وليس له صفة الإلزام)(١).

وإن أقل ما يوصف به هذا الرأي هو الجهل التام بالسّنة ومكانتها في شريعة الإسلام، ويفتقد صاحبه الاطلاع على المصادر الموثّقة من العلماء.

قال الإمام الشاطبي: (إن السّنة عند العلماء قاضية على الكتاب، وليس الكتاب بقاض على السنة..)، وشرح ذلك تفصيلاً فقال: (إن قضاء السّنة على الكتاب ليس بمعنى تقديمها عليه واطراح الكتاب، إن ذلك المعبر في السنة هو المراد من الكتاب، فكأن السنة بمنزلة التفسير والشرح لمعاني أحكام الكتاب، ودلّ ذلك على قوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]؛ لأن الله تعالى جعل القرآن تبياناً لكل شيء، فيلزم عن ذلك أن تكون السنة حاصلة فيه في الجملة؛ لأن الأمر والنهي أول ما في الكتاب.

هذا، وقد أفاض الإمام الشاطبي في بيان مكانة السّنة وحجيتها، مستنداً إلى آيات من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥].

ولسنا بحاجة إلى الإطالة في التدليل على أن هذه الانحرافات لدى اللبراليين عندنا من المقلّدين ومصدرها المستشرقون ما حدث في تاريخ الغرب الديني، وهذا ما أكده ريتشارد ويستر مؤلف كتاب (التاريخ المختصر للتجديف) «أي الإلحاد» / الليبرالية ورقابة المطبوعات والآيات الشيطانية).

وقد أورد بكتابه بالتفصيل من انتقاد حاد لموقف الليبراليين الغربيين الذين استماتوا في الدفاع عن المرتد سلمان رشدي باسم الدفاع عن حرية التعبير، وأكد في هذا الصدد أن المنطلق العلماني لموقفهم ذلك إنما هو **تعبير عن حقد دفين على الإسلام**.. وبيّن أن (حرية التعبير) مفهوم مسيحي، وبخاصة فكرة بروتستانتية

---

(١) نفسه ص ١٣٠.

أجازت لأصحابها حرية الكلمة والتجديف، وتفننوا في السخرية بالإسلام والتشكيك بالنبوة والقرآن.

وأكد مؤلف الكتاب أن **الصورة البشعة التي قدمها سلمان رشدي في آياته** الشيطانية لبيت النبوة، والتي دافع العلمانيون والليبراليون عنه باسم العلمانية والحرية، فهي في الأصل إرث مسيحي نشأ وترعرع داخل الأديرة والكنائس(١).

وقد وصف الدكتور عبد الرحمن بدوي أولئك بأنهم سقطوا في غواية الاستشراق الغربي، فأصبحوا خدمًا لهذه المخططات الاستشراقية.. ومن هؤلاء د/محمد أركون الذي لا رسالة له سوى تشويه التراث الإسلامي.. إنه تلميذ في مدرسة الاستشراق الاستعمارية الكبرى التي تضع نصب عينيها كهدف ثابت تشويه الإسلام والإساءة إلى نبيه ﷺ، والطعن في قرآنه المجيد.

وهو يحيط نفسه بمزاعم معرفية لا أساس لها.. وهو مشكوك في وطنيته.. لقد جنى على الفكر العربي جناية لا تُغتفر.. ولقد كتب مقدمة لترجمة (كازيمكس) للقرآن الكريم حوت أخطاء ومغالطات لا تكاد تُغتفر لدارس مبتدئ في تاريخ الفكر الإسلامي(٢).

كذلك سار على خُطَى أركون أمثال نصر أبو زيد والقمني، الذي قدح في القرآن الكريم عن جهل مطبق واضطراب فكري ونفسي، زعم أن القرآن (إفراز بيئوي تاريخي اجتماعي سياسي اقتصادي وهكذا!)(٣).

وزعم أيضًا أن القرآن هو خلاصة تطورات عقلية وتاريخية واقتصادية في عالم الإنسان، خصوصًا في تطورات التاريخ والفكر اليهودي، فالشيطان والملائكة

---

(١) فهمي هويدي (المقالات المحظورة) ص ٢٤٣ ط دار الشروق ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

(٢) د/ محمد عمارة، مقدمة كتاب (دفاع عن القرآن ضد منتقديه)، تأليف د/ عبد الرحمن بدوي، ص ١٤، كتاب هدية الأزهر رجب ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

(٣) طارق عبد الباقي منينة (أقطاب العلمانية في العالم العربي والإسلامي) جـ٢ ص ١٢٥، ط دار الدعوة بالإسكندرية ١٤٢٤هـ - ٢٠٣٣م.

والتوحيد وغير ذلك إنما هو نتيجة تطورات وارتقاءات عقلية وصلت إليها مراحل العقل التطورية!)(١).

ولن نعود للحديث عن آيات القرآن الكريم نلقمهم حجراً، ويبدو أنهم لم يقرؤوها، أو قرؤوها ولم يكن لديهم النية لتدبرها وفهمها وقصد متابعة الحق.. وإلا فكل من له قصد صحيح فإنه لا بد أن يؤمن أنه من عند الله تعالى؛ لما اشتمل عليه من البينات، وكل من له عقل، أو ألقى السمع وهو شهيد. ومما يدل على أنه وحي إلهي أنه جاء به هذا النبي الأمي ﷺ، الذي عرف قومه صدقه وأمانته، ومدخله ومخرجه، وسائر أحواله، وهو لا يكتب بيده خطاً، بل لا يقرأ خطاً مكتوباً، فإتيانه به في هذه الحال، من أظهر البينات القاطعات التي لا تقبل الارتياب، أنه من عند الله العزيز الحميد؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو﴾ أي تقرأ؛ ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ لو كنت بهذه الحال.

﴿لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾، فقالوا: لعلمه من الكتب السابقة، أو استنسخه منها، فأما وقد نزل على قلبك، كتاباً جليلاً تحديت بها العظماء البلغاء، الأعداء الألداء أن يأتوا بمثله، فعجزوا غاية العجز، بل ولا حدثتهم أنفسهم بالمعارضة؛ لعلمهم ببلاغته وفصاحته، وأن كلام أحد من البشر، لا يبلغ أن يكون مجارياً له أو على منواله، قال تعالى: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ﴾؛ لأنه لا يجحدها إلا جاهل تكلّم بغير علم، ولم يقتد بأهل العلم، ومن هو متمكن من معرفته على حقيقته، أو متجاهل، عرف أنه حق فعانده، وعرف صدقه، فخالفه(٢).

براءة الرسول ﷺ من اليهود والنصارى:

كذلك ينفي الدكتور موريس بوكاي أكاذيب اليهود والنصارى والملحدين في الغرب بأن محمداً ﷺ كتب أو استكتب القرآن محاكياً التوراة(٣).. ويستند في

---

(١) نفسه ص ١٢٦ ومصدره كتاب القمني (الأسطورة والتراث)؛ حيث قال: (إن عقائد الإسلام لها صلة بعقائد الحضارة القديمة والتطورات التي طرأت عليها!!) ص ٥٠-٥٧.

(٢) تفسير السعدي ص ٦٠٨، والآيات ٤٧-٤٨-٤٩ من سورة العنكبوت.

(٣) وسنعرض ذلك تفصيلا بالصفحات التالية عقب دراسة د/موريس بوكاي.

موقفه إلى ما قام به من نتائج مقارنة روايات التوراة بروايات القرآن فيما يتعلق بحدث واحد: وقد أخضع الكل للنقد العلمي. وعلى سبيل المثال فقدم اختيار مسألتي الخلق والطوفان، واتضح بالنسبة لكل منهما، عدم اتفاق العلم مع أقوال التوراة، ولكنه رأى اتفاقًا كاملاً بين أقول القرآن الخاصة بنفس المسائل وبين العلم الحديث. ومن ذلك يمكن ملاحظة الفروق التي تجعل بالدقة أحد النصّين مقبولاً علميًا في العلم الحديث، على حين تجعل الآخر غير مقبول.

ويستطرد قائلاً: هذه الملاحظة البيّنة ذات أهمية من الدرجة الأولى، ذلك أن اليهود والمسيحيين والملحدين في البلاد الغربية يجمعون على الزعم، وذلك دون أدنى دليل، بأن محمداً ﷺ كتب أو استكتب القرآن محاكيًا التوراة، ويزعم البعض أن هناك أقوالاً قرآنية في التاريخ الديني تعيد أقوال التوراة والإنجيل.

مثل هذا الموقف لا يقلُّ استخفافًا عن الذي يقود إلى القول بأن المسيح أيضًا قد خدع معاصريه باستلهامه العهد القديم في أثناء تبشيره. فكل إنجيل متى، كما رأينا، يعتمد على تلك الاستمرارية مع العهد القديم، أي مفسر هذا الذي تعنُّ له فكرة أن ينزع عن المسيح صفته كرسول لله؛ لذلك السبب؟

ومع ذلك فهكذا في الغرب يُحكم على محمد ﷺ في غالب الأحيان: يزعمون أنه لم يفعل أكثر من أن ينقل التوراة والإنجيل. وذلك حكم بلا محاكمة، لا يضع مطلقًا في اعتباره أن القرآن والتوراة والإنجيل قد تعطي عن نفس الحدث روايات مختلفة، لكنهم يفضلون السكوت على اختلاف الروايات.

ثم يعلنون أنها متماثلة، وبالتالي يتحاشون عن تدخل المعارف العلمية. وسندرس هذه المسائل بالتفصيل فيما يتعلق بالخلق وبالطوفان(١).

ولقد قام الدكتور موريس بوكاي بدراسة تفصيلية من وجهة النظر العلمية قادته إلى الحكم بعدم معقولية أن إنسانًا يعيش في القرن السابع من العصر

(١) موريس بوكاي (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم-دراسة الكتب المقدسة في صفوة المعارف الحديثة) ص ١٤٩، ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٩م.

المسيحي قد استطاع أن يصدر عبر القرآن، وفيما يتعلق بموضوعات متعددة، أفكاراً لا تنتمي إلى أفكار عصره، وتتفق مع أمكنة إثباته بعد ذلك بقرون عديدة[١].

كذلك يقرّر بحسم أنه من المشروع تماماً أن ينظر إلى القرآن على أنه تعبير الوحي من الله تعالى وأن تُعطى له مكانة خاصة جداً؛ حيث إن صحته امر لا يمكن الشك فيه؛ وحيث إن احتواءه على المعطيات العلمية المدروسة في عصرنا تبدو كأنها تتحدى أي تفسير وضعي، عقيمة حقًّا المحاولات التي تسعى لإيجاد تفسير القرآن بالاعتماد على الاعتبارات المادية[٢].

وانتهى الدكتور موريس بوكاي إلى القول بأن المعلومات عن الوجود في العهد **القديم تتضمن روايات مختلفة عن موضوع واحد، وأخطاء تاريخية وأمور متناقضة وأخرى غير معقولة أو يستحيل أن تتفق مع المعطيات العلمية الثابتة....**[٣].

وعند قيامه بدراسة الظاهرات الطبيعية في القرآن الكريم قال: (أذهلني مطابقتها للمفاهيم التي نملكها اليوم عن نفس الظاهرات.. فهناك الخلق وعلم الفلك.. وعالم الحيوان وعالم النبات والتناسل الإنساني، وعلى حين نجد في التوراة أخطاء علمية ضخمة لا نكتشف عن القرآن أي خطأ)[٤]، وبإثباته سلامة القرآن الكريم من أي خطأ، فقد قدم في الوقت نفسه برهاناً قاطعاً على تفرده عن التوراة.

وهكذا أخرس الدكتور بوكاي الألسنة القائلة بأن رسول الله ﷺ نقل عن التوراة.

---

(١) نفسه ص ١٥٠ .

(٢) نفسه ص ٢٨٦ .

(٣) نفسه ص ٦١ .

(٤) نفسه ص ١٤٥ .

أما عن تعارض الدين مع العلم، فقد ظهرت في أوربا؛ إذ تبين أن هناك تعارضًا بين النصوص الدينية والاكتشافات العلمية (وما حدث لجاليليو من اضطهاد كان بسبب إعلانه ذلك على الملأ)(١).

أما عندنا فلم يتضح قط أن هناك خلافًا بين القرآن الكريم والعلم، وقد استخلص من دراستنا أن القرآن الكريم تعبير عن الوحي.

هذا، وقد سجّل لنا الدكتور موريس بوكاي بكتابه (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة)، سجّل لنا التجربة التي خاضها بنفسه في هذا الشأن، قال في مستهل الكتاب: (لقد أثارت هذه الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتي العميقة في البداية.. وقد طرقت دراسة هذه النصوص بروح متحررة من كل حكم مسبق وبموضوعية تامة.. أي متحرراً من الصورة التي اختلقناها عن الإسلام في بلادنا الغربية وشعرت بالحاجة الملحة لتعلم اللغة العربية التي لم أكن أعرفها)(٢)

وأكتفي بذكر بعض عناوين الكتاب التي شرح فيها دراسته واستقرأ منها النتائج:

- تاريخ خلق العالم وتاريخ ظهور الإنسان على الأرض.
- خلق السماوات والأرض.
- علم الفلك في القرآن.
- الأرض.

(١) وقد حوكم جاليليو لأنه استأنف مكتشفات قوبرنيق الخاصة بدوران الأرض.. وأدين بسبب تفسير خاطئ للتوراة.. ويقول د/ موريس بوكاي: (فهذه الكتب تحتوي على كثرة من الأمور التي لا تتفق مع المعطيات العلمية الحديثة). المصدر: د/ موريس بوكاي: (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم: دراسة الكتب المقدسة في المعارف الحديثة) ص ١٤٢، ط دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٩م.

(٢) نفسه ص ١٤٤ .. ويقول في ص ٦٢: إن المجمع المسكوني للفاتيكان الثاني (١٩٦٢-١٩٦٥) وصف بتحفظ (أسفار العهد القديم) التي تحتوي على الشوائب وشيء من البطلان).

- عالم النبات والحيوان.

- التناسل الإنساني.

- رواية الطوفان بين القرآن والتوراة.

ثم قرّر في خاتمة الكتاب أن كل من يشرع في دراسة القرآن بموضوعية وعلى ضوء العلوم، يكتشف القارئ منه مقولات ذات طابع علمي من **المستحيل تصور أن إنسانًا في عصر محمد ﷺ قد استطاع أن يؤلفها، وعلى هذا فالمعارف العلمية الحديثة تسمح منهم بعض الآيات القرآنية التي كانت بلا تفسير صحيح حتى الآن.**

لذا فمن المشروع تمامًا أن يُنظر إلى القرآن على أنه تعبير الوحي من الله تعالى، وأن تُعطى له مكانة خاصة حرة؛ **حيث إن صحته أمر لا يمكن الشك فيه** (ص ٢٨٦).

القرآن الكريم والتوراة:

دحض الدكتور شوقي ضيف **أكذوبة أن القرآن الكريم كان محاكيًا للتوراة**؛ حيث قام بدراسة مقارنة بينهما، ويقتضي الأمر عرضًا موجزًا لنتائج دراسة الدكتور شوقي ضيف فيما يلي:

عدّد الدكتور شوقي ضيف المعجزات الكثيرة للقرآن الكريم، بحيث خاض العلماء في معجزاته، فمن قائل بالصرفة؛ إذ صرف الله تعالى العرب عن الإتيان بمثله، ومعجزة سماعه وتلاوته؛ إذ كانت تلاوته وسماعه يروعون المشركين في مكة روعة شديدة فيدخلون في الإسلام، ومعجزة إنباء القرآن الكريم بالغيب؛ إذ أنبأ المؤمنين بنصرهم على أعدائهم المشركين واليهود ودخول الناس في الإسلام أفواجًا، ومن معجزات القرآن الكريم: المعجزتان العلمية والحضارية، ويتضح ذلك في نقل أمة أمية لا تعرف القراءة والكتابة إلى أمة علمية لها دورها العلمي العالمي العظيم، والمعجزة البلاغية للقرآن الكريم الذي أُحكمت آياته وبهرت كلماته، وبلغ الذروة من البيان والبلاغة، وتحدى العرب مرارًا وتكرارًا طوال ثلاث وعشرين سنة أن يأتوا

بحديث من مثله أو بسورة على شاكلته وهم مُحْجِمون عن مماثلته، مذعنون لروعته، مسلِّمون بعجزهم عن الإتيان بما يضاهيه، معترفون بإعجازه البلاغي وأنه خارج بأسلوبه وصياغته من قدرة البشر[1].

معجزة (أخبار الرسل وأممهم السابقة):

وقد عُني الدكتور شوقي ضيف بهذه المعجزة من معجزات القرآن الكريم، وهي أخبار الرسل وأممهم السابقة، وكان لا يعلم أخبار قصصهم إلا أفراد من أحبار أهل الكتاب أفنوا أعمارهم في التعرُّف عليها، وكان الرسول ﷺ يأتي بها صحيحة مع أنه لم يتعلمها؛ إذ كان أميًّا لا يقرأ ولا يكتب، وكان أهل الكتاب يعرفون ذلك، وكانوا يسألونه عن بعض ما غمض من أخبارهم وينزل القرآن بإجابته لهم، مثل سؤالهم عن الروح وعن يوسف وإخوته وأصحاب الكهف وذي القرنين، يجيب عن كل ذلك وما يماثله، ولم يكذبوه في شيء منها، بل آمن به نفرٌ من اليهود مثل ابن سلام وغيره، وكان القرآن يصحح لهم كثيراً من أنبائهم؛ إذ يقصها لهم الذي شهدها ورآها: رب العزة، الذي صححها وأعاد إليها ما سقط منها[2].

لذلك خصص الدكتور شوقي ضيف فصلاً كاملاً بكتابه (معجزات القرآن)[3] للحديث عن إضافات مهمة إلى قصص الرسل وشعوبهم لم تذكرها التوراة، ومن ذلك رسالة هود إلى قومه عاد في إقليم الأحقاف باليمن، ومنها في قصة آدم والحوار بين الله تعالى وملائكته في أوائل سورة البقرة عن خلقه لآدم وذريته وتعليمه أسماء الموجودات وعصيانه لربه عز وجل وطاعته لإبليس، وهبوطه من الجنة مع حواء إلى الأرض. ومنها في قصة نوح عصيان ابنٍ له عن ركوب السفينة للنجاة من الطوفان، فكان من المغرقين. ومنها في قصة إبراهيم: رحلته مع ابنه

(١) د/ شوقي ضيف (معجزات القرآن) ص ٦٥ /٦٦، باختصار، دار المعارف سنة ٢٠٠٢م.

(٢) د/ شوقي ضيف (معجزات القرآن) ص ٦٦، ط دار المعارف سنة ٢٠٠٢م.

(٣) وهو الفصل الرابع من الكتاب (من ص ١٠٣ إلى ص ١٣٣)؛ لذلك رأينا ضمه إلى الملحق الأول من كتابنا الذي يتضمن مختصراً لنقد الدكتور عبد الرحمن بدوي للمستشرقين وفضح افتراءاتهم على القرآن الكريم.

إسماعيل وأمه إلى جوار زمزم بمكة، وفي إحدى زياراته له -حين كبر- بنيا الكعبة لعبادة الله تعالى وإقامة الحج بها سنويًا. وتكثر الإضافات في قصة يوسف وصححت ما دخل عليها من تحريفات في التوراة، وأعادت إليها ما سقط من بعض المواقف والأحداث. وقصة موسى القرآنية كقصة يوسف في التوراة؛ إذ تكثر فيها التحريفات والإضافات مثلها، ويذكر القرآن لموسى تسع آيات مجملة في سورة الإسراء ومفصّلة في سورة الأعراف، وقعت جميعها في مصر وسيناء؛ حيث دخل على بعضها التحريف في التوراة، وسقطت منها قصة «المؤمن» في سورة غافر وموعظته لفرعون وملئه، وقصة امرأة فرعون في سورة النجم التي آمنت بموسى ودعت ربها أن يبني لها بيتًا في الجنة(١).

ويمضي الدكتور شوقي ضيف ليبين الاختلافات بين القرآن الكريم والتوراة، منها النقص الذي اكتشفه في التوراة عن حوار نوح وابنه لإنقاذه في سورة هود، ومثلها ما اتصل بها من نداء نوح ربه عز وجل من الغرق قائلاً: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥]، فأجابه ربه عز وجل: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود: ٤٦]، بما سولت له نفسه من الكفر: ﴿فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].

ويقول الله تعالى إن الفلك التي جرت بنوح ومن معه، في موج كالجبال، وفي الإصحاح السابع من سفر التكوين في التوراة أن الطوفان كان أربعين يومًا على الأرض، وتعاظمت المياه وتكاثرت وغطت جميع الجبال، فمات كل كائن على الأرض. وفي الإصحاح الثامن أن الطوفان بعد مائة وخمسين يومًا أخذ يتناقص تدريجيًا، واستقر الفلك في الشهر السابع على جبال أراراط، وهي جبال أرمينيا في شمال العراق، وفي الإصحاح الثامن سفر التكوين أن رؤوس الجبال ظهرت في الشهر العاشر، وظلت المياه نحو شهرين تتناقص عن وجه الأرض حتى انكشفت

(١) د/ شوقي ضيف (معجزات القرآن) ص ٤/٥، ط دار المعارف سنة ٢٠٠٢م.

تمامًا لنوح ومن معه في الفلك. وربما كان في هذا التحديد لمدة الطوفان شيء من المبالغة أدخل على التوراة. وفي سورة هود أنه حين رست السفينة أو الفلك، قيل لنوح: ﴿ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [هود: ٤٨]، ويشير آخر الآية إلى أنه كان وراء أمة نوح أممٌ أخرى سيمتعهم الله في الدنيا ثم يُبعثون فيصيبهم من الله عذاب أليم، ويخالف القرآن التوراة مخالفة صريحة في أن النوع الإنساني كان منتشرًا في الأرض زمن نوح، وأن الطوفان لم يعم الأرض، إنما عمّ إقليم نوح في ديار أرمينيا أو ديار بكر، وسلمت منه بقية الأرض(١).

وأخرى تختص بامرأة نوح، فقد ذكر معجزة الطوفان بالإصحاحات في سفر التكوين من السادس إلى التاسع أنها دخلت في سفينة نوح وخرجت منها حين رسوّها مع نوح والناجين من الطوفان. ويعني ذلك أنها كانت مؤمنة به وبرسالته الربانية، بينما يقول الله تعالى في الآية العاشرة من سورة التحريم: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ [التحريم: ١٠]، والمتبادر أن خيانة الزوجة في الآية الكريمة إنما كانت خيانة دينية وبما جاء إليه من رسالة. ويختم الله معجزة الطوفان وحواره مع نوح عن ابنه الكافر بقوله مخاطبًا رسوله ﷺ: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ﴾ [هود: ٤٩]، وأيضًا لم يكن اليهود يعرفون كل تفاصيلها؛ إذ لم يذكر في هذه المعجزة التي خصّ الله بها نوحًا عن ابنه كما رأينا من المغرقين.

وأيضًا ذُكر في التوراة أن امرأة نوح ركبت الفلك معه فكانت من الناجين، بينما ذكر القرآن الكريم أن امرأة نوح خانته، ولم يذكر ذلك في التوراة، وجاء في التوراة أن هذا الطوفان عمّ الأرض، وكل هذه مخالفات بين القرآن والتوراة في قصة الطوفان، ومثلها مخالفات كثيرة بينهما في قصص الرسل التالين لنوح(٢).

---

(١) نفسه ص ١٦.

(٢) نفسه ص ١٧.

وعن موسى وقصة حياته، فقد وردت في سورة القصص أن امرأة فرعون قالت لفرعون: ﴿ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لاَ تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ [القصص: ٩]، بينما ورد في سفر الخروج أنها لم تكن امرأة فرعون وإنما كانت ابنته، وهو تحريف دخل في التوراة، ويصحح القرآن قصة موسى في التوراة بمواضع متعددة[١]، وتضطرب آيات موسى أو معجزاته بعد العصا واليد البيضاء في سفر الخروج؛ إذ لم تكن فيه آية السنين ونقص الثمرات وآية الطوفان، واضطربت آية الدم، ولا تذكر في سفر الخروج آية القمل، وتوضع مكانها في سفر الخروج آيتان: آية البعوض وآية الذباب، وتضاف إلى آيات سفر الخروج آية برد يُهلك الدواب والأنعام في جميع أرض مصر، وأرضها -حتى اليوم- لا تعرفه، كما يضاف إظلام أرض مصر ثلاثة أيام متعاقبة، لا تطلع فيها الشمس، ولعل ذلك مبالغة، ويضاف في الإصحاح الثاني عشر موت كل بكر من الناس، وفي كل ذلك اضطراب بالقياس إلى آيات موسى في القرآن الكريم ومعجزاته[٢].

وبالموازنة بين ما ورد بالقرآن الكريم وما ورد بالأناجيل وكتب النصارى، سرد الدكتور شوقي ضيف الآيات القرآنية عن ميلاد مريم ونذر أمها في بطنها وعبادتها لربها في محرابها ولقاء الملائكة وجبريل لها مبشراً بحمل عيسى وولادتها له وكلامه في المهد، كل ذلك مما جاء في سورتي آل عمران ومريم ولم يذكر منه شيء في الأناجيل، يقول الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ [آل عمران: ٤٤].

إن الواضح مما جاء بالقرآن الكريم في سورتي آل عمران ومريم معجزتان عظيمتان؛ معجزة ميلاد المسيح بكلمة التكوين الإلهية دون أب، وفي ذلك يقول الله في سورة آل عمران: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩]، وعيسى دون أب فحسب، وتلك مشيئة الله

(١) نفسه ص ٢٢.
(٢) نفسه ص ٢٩.

تعالى ولا راد لمشيئته. والمعجزة الثانية لعيسى: كلامه في المهد، مما لم يحدث لأي إنسان أن يتكلم وهو طفل رضيع(١).

وكانت أول معجزة لعيسى في سورة آل عمران أنه كان إذا خلق من طين وأبدع ما يشبه صور الطير ثم نفخ فيه فإنه يصبح طيراً حقيقياً، وذلك كما يقول عيسى بإذن الله حتى ينفي توهم مشاركة الله تعالى في خلق الكائنات، ولم تذكر الأناجيل هذه المعجزة العظيمة لعيسى وذكرها القرآن الكريم؛ لأن الله تعالى وحده هو الذي يعرف كل ما أجرى على يديه من معجزات بإذنه(٢).

وبالموازنة بين ما جاء بالقرآن الكريم وما ورد بالتوراة عن إبراهيم عليه السلام، يتضح أنه ليس في سفر التكوين بالتوراة أي شيء عن رحلته بهاجر وابنه إسماعيل إلى وادي مكة وبنائه مع إسماعيل فيها الكعبة، وبالمثل ليس فيه شيء عن فريضة الحج إليها في شريعته، وأنها أول بيت ووضعه لعبادة الله تعالى في الأرض، كما أنه ليس فيها شيء من أخبار إبراهيم في حياته بديار الكلدانيين ومحاجته العنيفة لهم، ولأبيه بسبب ضلالهم وشركهم ووجوب عبادة ربهم عز وجل، وكيده لأصنامهم بتحطيمها وإلقائهم له في النار وأمرها الله تعالى أن تستحيل برداً وسلاماً، تلك الأحداث لم يكن يعرفها اليهود ولا العرب؛ إذ كانت من أنباء الغيب الذي لا يعرفه إلا الله تعالى، وأمثالها في قصص الرسل، وهي تضاعف فكرة الإعجاز بالقرآن وقصص الأنبياء فيه(٣).

هذا، ونلاحظ أنه بالرغم من كثرة ما عرضه الدكتور شوقي ضيف من تلك القصص، إلا أنه يقرّر: (إن قصص التوراة والقرآن في حاجة إلى كتاب يقارن بينهما مقارنة دقيقة)(٤).

---

(١) نفسه ص ٣٣.
(٢) نفسه ص ٣٥/٣٦.
(٣) نفسه ص ١١٥.
(٤) نفسه ص ٢١.

حاشية: المستشرقون ونهب التراث الإسلامي:

عني الأستاذ إبراهيم خليل -كما أسلفنا- بالكشف عن دور الاستشراق عملاً بمنهجه وهدفه الكشف عن دورهم في خدمة الاستعمار، والتعرف على عقليات شعوب الشرق وأمزجتهم ومواضع القوة والضعف منهم؛ توطئة لحملات التبشير وموجات الاستعمار التي تدفّقت علينا في القرن الثامن عشر.

ولكن هناك من علمائنا من كشف أيضاً عن عملية سرقة ونهب تراثنا الإسلامي بكافة أساليب الحيل.. وكانت حملات الغزو الصليبي تلقت من تراثنا ذخائر لا تعوّض مع ما حمل منها إلى الغرب مع الغزاة.

ويقول د/ أحمد سعيد دمرداش: (وقديماً استولى نابليون عند غزوه لمصر على مخطوطات عربية كثيرة لا حصر لها(١)، واستولى عليها من الجامع الأزهر، ومن معظم الزوايا والمساجد.. وكان الاستيلاء على المخطوطات العربية، أحد البنود المذكورة في وثيقة انسحاب البعثة الفرنسية عند الجلاء.. **وكانت هذه المخطوطات نواة علم الاستشراق في جامعات فرنسا.. وعن طريق دراساتهم لها استطاعت فرنسا أن تستعمر تونس والجزائر ومراكش والصحراء الكبرى وتشاد وغيرها!**)(٢).

وفي الاتحاد السوفيتي كان غرض الاستشراق السيطرة على القوميات المتعددة في الجمهوريات الإسلامية التي تشكّل العصب الأساسي في الاتحاد السوفيتي وهي: أذربيجان وأوزبكستان وطاجيكستان وقرغيزيا وقازاقستان وتركمانيا وغيرها)(٣).

ويقول الأستاذ محمد كرد علي بكتابه (خطط الشام): (ومن المصائب التي أُصيبت بها كتب الشام، أن بعض دول أوروبا ومنها فرنسا وجرمانيا وبريطانيا

---

(١) د/ عائشة عبد الرحمن، دراسة بعنوان: (تراثنا بين شرق وغرب) ص ١٩، كتاب (التراث العربي) ط جمعية الأدباء، القاهرة.

(٢) د/ أحمد سعيد دمرداش (الرياضيات عند العرب -ينبوع الفكر الرياضي الحديث)، ص ١١٢/١١٣، نفس المصدر.

(٣) نفسه ص ١١٣.

وهولنده وروسيا، أخذت تجمع منذ القرن السابع عشر كتباً من تراثنا تبتاعها من الشام بواسطة وكلائها وقناصلها والأساقفة والمبشرين من رجال الدين.. وهكذا تسرب أكثر البقية من كنوزنا إلى الغرب ونحن نيام، فذهب بها عملاؤه على مرأى منا ومسمع!)(١).

ودخلت أمريكا السباق الدولي في اقتناء مخطوطات تراثنا، فيقال إن أحد تلاميذ جامعة بريستون القدامى، أهدى إلى جامعته مكتبة فيها ستة آلاف مخطوط عربي كانت في حوزة أحد المستشرقين الإنجليز(٢).

ويلزم من ذلك كله الاستنتاج أيضاً خلاصته:

أن التراث الإسلامي الذي جعل من العرب أعظم حضارة شهدها العالم أجمع في العصور الوسطى.. هذا التراث ورثته أوروبا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، وهو عصر نهضتها، ورثته من الحضارة الإسلامية وبنت عليه أساس حضارتها الحالية(٣).. وهو ما اتفق عليه العلماء والفلاسفة المنصفون في الغرب، ومنهم العالمة الألمانية (زيغريد هونكه)، التي استخدمت المنهج التاريخي المقارن.. ونكتفي بسرد بعض أقوالها المعبرة عن النتائج التي توصلت إليها.

منها: (لقد حوّل العرب الأندلس في مائتي عام حكموها من بلد فقير مستعبد إلى بلد عظيم مثقف يقدّس العلم والفن والأدب، قدّم لأوروبا سبل الحضارة وقادها إلى طريق النور) ص ٥٤١ .

ومنها: (أن عرب الأندلس في إسبانيا هم أول من استغل القذائف النارية في أوروبا لأهداف عسكرية.. وبهذا السلاح الجديد العجيب ابتدأ عصر جديد أيضاً بالنسبة إلى الحروب، وإننا لنقف فاغري الأفواه تعجباً لسرعة تقدمه الهائل منذ الحرب العالمية الثانية) ص ٥١ .

---

(١) نفسه ص ٢١/٢٢ .

(٢) نفسه ص ٢٣ .

(٣) د/ سعيد عبد الفتاح عاشور، دراسة بعنوان: (دراسة التاريخ عند العرب وأثرها في المغرب الأوربي) ص ١٤٢، نفس المصدر، بتصرف يسير.

ومنها: (إن فن تطور الصواريخ العظيم يرجع إلى ما وصفه العلماء العرب بنظرية تركيب البارود المندفع في القرن الثاني عشر.. ومن المؤكد أن العرب تمكنوا في النصف الثاني من القرن الثالث عشر أن يستعملوا البارود القاذف كمادة دافعة للصواريخ) ص٥٠، وتقول: (إن انتصارات العرب العلمية المتلاحقة التي جعلت منهم سادة للشعوب المتحضرة في هذا العصر لفريدة في نوعها لدرجة تجعلها أعظم من أن تقارن بغيرها.. إن ما حققه العرب لم تستطع أن تحققه شعوب أخرى كثيرة كانت تمتلك من مقومات الحضارة ما قد يؤهلها لهذا) ص ٣٥٤(١).

---

(١) كتابها بعنوان: (شمس العرب تسطع على الغرب –أثر الحضارة العربية في أوروبا)، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي سنة ٢٠١٤م، ويقع الكتاب في ٥٧٦ صفحة من القطع الكبير).

فصل

الدكتورة زيغريد هونكه تتصدى للمستشرقين وتشهد شهادة حق

يكاد يتفق العلماء والدارسون للاستشراق أن الموقف الغربي العدائي تجاه الإسلام هو في نهاية المطاف موقف الاستشراق ذاته عن الإسلام(١).

ولكن هناك قلة من المستشرقين خالفوا زملاءهم وعارضوهم وكشفوا عن تزييفهم الحقائق، **منهم المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة، التي ردت على مزاعمهم بمنطق سليم، وشهدت شهادة الحق** بكتابها: (شمس العرب تسطع على الغرب)، وهذا ما سنعرضه بإيجاز في هذا الفصل.

يقول مترجما الكتاب: (وهذا الكتاب هو ثمرة سنين طويلة من الدراسة الموضوعية العميقة.. وكان ظهوره حدثًا كبيرًا في ألمانيا وأوروبا، علقت عليه مئات الصحف والمجلات، بدليل أن نقاد أوروبا لم يهتموا بشيء في ذاك العام، اهتمامهم بهذا الكتاب، فهاجم العشرات منهم المؤلفة والكتاب معًا، واتهموها بالتعصب للعرب والتحيز لهم.. ولاقى الكتاب، وسط هذه الضجة، نجاحًا منقطع النظير، فأعيد طبعه وتُرجم إلى عدد من اللغات الأجنبية، كما رحّبت به الصحافة العربية ترحيبًا بالغًا.. وفي صيف سنة ١٩٦١ دعت الحكومة العراقية المؤلفة وزوجها لزيارة بغداد تقديرًا لهما، وزارت عام ١٩٦٢ أيضًا وزوجها مصر بناء على دعوة حكومتها معربةً عن تقديرها وعرفانها بالجميل؛ لجهودهما المتواصلة في خدمة العرب)(٢).

هذا، وقد اتخذنا من كتاب آخر للدكتورة زيغريد هونكة بعنوان: **(الله.. ليس كذلك)، مصدرًا لبيان موقفها الدفاعي التي فندت وناقشت فيه كافة الافتراءات الغربية على العرب، والتي اعتبرتها موضوع الساعة، والذي يتحتم معه ضرورة**

---

(١) عبد الله النعيم (الاستشراق في السيرة النبوية..) المقدمة ـ المعهد العالمي للفكر الإسلامي ـ سلسلة الرسائل الجامعية (٢١) ١٤١٧هـ.

(١) فاروق بيضون وكمال دسوقي (مقدمة الكتاب) ص ٨ في ١٠/٤/١٩٦٣م.

فضح الأحكام المتجنية والمتعسفة وإزالتها، وشتى المعلومات الفجة الظالمة الزائفة، التي تُلصق منذ قرون بالإسلام، وبمن حملوه ودانوا به وبلّغوه كما ينبغي، وكذلك بتاريخ هذا الدين(١).

وباختصار: إنها شهادة حق تنفرد بها وأعلنتها في وسط جو أوروبي مشحون - كما وصفته بالتعصب الديني الأعمى- أو الجهل الأحمق.

ولنعطي للقراء مثالاً على حرص المؤلفة على تصحيح التزييف التاريخي والمقت الأعمى للإسلام، نشير فقط إلى اختيارها للفصل الأول عنوان: «إشعال نار الكراهية والبغضاء»؛ حيث عرضت للدعايات البابوية الطافحة زيفًا وكيدًا.. كما تحركت الدعاية المسمومة عن المسلمين تواكب الحملات الصليبية !

وتصف الحملة الصليبية الأولى يوم ٢٧ / ١١ سنة (١٠٩٥م) بأنها **بمثابة المقدمة الموسيقية الحزينة لواحدة من كبريات مآسي العبث في تاريخ الإنسانية.**

لقد حفر ذلك اليوم حفرًا يتأبّى على المحو أبدًا في ذاكرة التاريخ.. وقد انتهت بالغلبة الساحقة لمقاتلي النصارى دفاعًا عن المسيح! وكانت في الوقت نفسه هزيمة أخلاقية مهولة، سجّلها تاريخ الإنسانية بحروف من الخزي والاستنكار(٢).

كذلك رأت تلك الأحكام المسبقة ظالمة شد ما شوهت وجه الإسلام، ولا تزال حتى اليوم تتناوله بالتجريح وتعبر عن الموقف المعادي له أشد العداء، وتتبعت الفيلسوف (ليبنتز ١٦٤٦-١٧١٦) الذي عبّر عن الإسلام بأوصاف تدل على جهله التام به.

---

(١) د/ زيغريد هونكة (الله.. ليس كذلك) ص ٩، ترجمة د/ غريب محمد غريب، ط دار الشروق ١٤١٦هـ-١٩٩٥م. تخرجت في جامعة كيل، وفرايبورج، وبرلين ونالت درجة الدكتوراه عام ١٩٤٠، وسعيًا لتأكيد فكرها الرائد لفضل الشرق على الغرب، أسست عام ١٩٧٣ رابطة تحمل اسمها، وهي الرئيسة الفخرية لها.. وهي مؤرخة باحثة في ميدان فلسفة الحضارة، والرئيسة الشرفية لكثير من الهيئات العالمية في هذا المضمار، وعضو شرف بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية منذ عام ١٩٧٣ . مختصر (التعريف بالمؤلفة بغلاف الكتاب).

(٢) نفسه ص ٢١/ ٢٢ .

كذلك لم تجد الكنيسة في مقاومتها للإسلام ما أعدت من جيوش شاهرة السلاح.. فلجأت إلى ما هو أمضى وأشد فتكًا، ألا وهو السلاح النفسي الديني.. وحتى شعراء البلاط أخذت تطفح بالمقت الضاري الأعمى للإسلام مع وصف المسلمين بأحط الألفاظ (وهم عبدة الأصنام ولا يستحقون إلا أن يُقتلوا وتطرح رممهم في الخلاء.. ويطفح «نشيد رولاند» لذلك القسيس الشاعر بأشد البغضاء.. مع التحريف المشوه للنبي محمد ﷺ عمداً واستخفافًا..)(١).

وأمام الحملات الضارية المحمومة، تقرر أن موضوع الساعة الخطير ليحتم **ضرورة فضح تلك الأحكام المتجنية والمتعسفة وإزالتها، وشتى المعلومات الفجة الظالمة، التي تلصق منذ قرون بالإسلام، وبمن حملوه ودانوا به وبلّغوه كما ينبغي، وكذلك بتاريخ هذا الدين**(٢).

إنها مجموعة من الأحكام المستقرة المستهلكة لا زالت تتغذى على عدد لا حصر له من المغالطات وليدة سوء الفهم، ومن الصورة الدينية الظالمة للخصم، ومن المعلومات الخاطئة المنحازة، ومن الإساءة المشوهة عمداً وقصداً، ومن النقص في المعرفة نقصاً مبيناً.

وضربت أمثلة عديدة، نقتصر على ثلاثة وهي:

١- العقيدة الجبرية للمسلم، ووصف المسلمين بالمحمديين.

٢- التاريخ الإسلامي للعرب في أوروبا وإسبانيا.

٣- وضع المرأة في التاريخ والحياة الزوجية والأسرة والعمل(٣).

أولاً: عقيدة المسلم الجبرية، ووصف المسلمين بالمحمديين:

وقامت بتصحيح الصورة السائدة عن الإنسان المسلم الدالة على نقص معرفة الغرب بالإسلام، حيث **يصفونه بالخطأ الأثيم -الجبري- الجهاد !!**

(١) نفسه ص ٤٤.

(٢) ص٩.

(٣) نفسه ص٢٦.

فتذكر أن الإسلام لا يقول أساسًا بوارث -الخطيئة الأصلية- كالنظرة النصرانية، بل ينص الإسلام على أن الله تعالى غفر لآدم عليه السلام بعد أن تاب، كما تبين ذلك الآية السابعة والثلاثون من سورة البقرة: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

أما وصف الفيلسوف ليبنتز الألماني، وهو المعادي للإسلام أشد العداء(١)، وصفُه للمسلم الخانع المتشائم للقدر المحمدي، فإنه محض افتراء على الحق! ودال على الغلو المفرط المنحاز في تصويره للخصم، وهو نفسه الغلو الذي عهدناه من قبل في مستهل القرون الوسطى.. فضلاً عن أنه يتعارض مع روح القرآن وتنفيه الأحاديث النبوية نفيًا قاطعًا، وكلاهما يدعوان الإنسان إلى الاحتكام إلى إرادته الحرة للبت في الأمور، ويتفحص الأهواء المتعارضة ليميز بينها وليختار اختيارًا حرًّا بين الفضيلة والرذيلة. وتوكُّل المسلم على الله عز وجل ليس هو التواكل الأعمى المذعن للقضاء كما يفتري ذلك الفيلسوف الذي أعماه الحقد! فإن المسلم يستطيع أن يغير نفسه كما تنص سورة الشمس مثلاً: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩- ١٠]، ويؤكد ذلك أيضًا قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وقد أزعجها رؤية موجات العداء الجديدة المغرضة في ألمانيا، والتي تستهدف الإسلام، وتكيد له، قاصدة بالدرجة الأولى وقف الزحف التركي أو موجات طالبي اللجوء في ألمانيا من الأتراك المسلمين.. وقد اشتدت موجة التعصب ونجم عنها صيرورة الإسلام ونبي الإسلام ﷺ والعرب والمسلمين، مرمى الحملات الضارية المحمومة؛ ولكي تدلّل على ذلك اختارت عبارة في صحيفة يومية بتاريخ ٦/١/١٩٩٠ وتصفها: (.. ثم اشتق أنصار ذلك الدين من اسمه اسمًا لهم وهو: «المحمديون»)، ولم تنشر تلك الجريدة أي استنكار لأي قارئ يعترض على المغالطة

(١) بينما يُتعمد إخفاء ذلك عن دارسي الفلسفة الغربية بكليات الآداب!! بل يوصف بأنه: (أحد نوابغ الغرب)، وقد أصابت بوصفه (أعماه الحقد)!!

الواضحة في الجملة؛ مما يرينا أن رجل الشارع البسيط في الغرب يطلق لفظ «المحمديين» على أولئك الذين يتبعون محمداً ﷺ ويؤمنون به(١).

وتقول: (وأعجب أن تلك التسمية الملصقة بالمسلمين لا زالت تطلق عليهم في الغرب، على الرغم من مضي أكثر من ثلاثة عشر قرناً على تبشير النبي محمد ﷺ بالإسلام، ودعوته إليه، وعلى الرغم من أن المسلمين أنفسهم لا يسمون أنفسهم بالمحمديين، بل المسلمين، ومفردها مسلم للذكر، ومسلمة للمؤنث، وهم على علم بمعنى كلمة إسلام؛ حيث تدل على التسليم لله تعالى وحده)(٢).

ثانياً: التاريخ: نشر الإسلام بحد السيف:

وتناقش ما سمته: (الحكايات المختلفة الخرافية التي كانت الجدّات يروينها)؛ حيث زعم مختلقوها أن الجيوش العربية بعد موت محمد ﷺ نشرت الإسلام بالنار وبحدّ السيف.. ويلحُّ الغرب على ذلك بكافة السبل وبحملات الدعاية ضد الإسلام!

وتصف هنا الشعار بأنه كذب لا أساس له من الصحة التاريخية أو الحقيقة الواقعية، مستدلة بقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، تلك الآية الملزمة.. فلم يكن الهدف أو المغزى للفتوحات العربية نشر الدين الإسلامي، وإنما بسط سلطة الله تعالى في أرضه(٣)، وظل اليهود والنصارى على أديانهم لم يمنعهم أحد أن يؤدوا شعائرهم.

ومن أقوى الأدلة على ذلك أن بعض اليهود أو النصارى هم الذين سعوا سعياً لاعتناق الإسلام والأخذ بحضارة الفاتحين، وقد ألحوا في ذلك شغفاً وافتتاناً، أكثر مما أحب العرب أنفسهم، فاتخذوا أسماء عربية وثياباً عربية، وعادات وتقاليد عربية، واللسان العربي، وتزوّجوا على الطريقة العربية ونطقوا بالشهادتين. لقد

(١) نفسه ص ١١.
(٢) نفسه ص ١٢.
(٣) نفسه ص ٢١.

كانت الروعة الكامنة في أسلوب الحياة العربية، والتمدن العربي، والسمو والمروءة والجمال.. وباختصار: السحر الأصيل الذي تتميز به الحضارة العربية، بغض النظر عن الكرم العربي والتسامح وسماحة النفس، كانت هذه كلها قوة جذب لا تُقاوم(١).

ومن المصطلحات التي تسهم في تشويه صورة الإنسان المسلم لدى الغرب: **«الجهاد»**.

وتبدأ بالتعريف الصحيح به، فليس يطابق ما يعرفه الغرب بمصطلح (الحرب المقدسة)؛ لأنه في حقيقته، كما يذكر الألماني المسلم أحمد شميدت: (**هو كل سعي مبذول، وكل اجتهاد مقبول، وكل تثبيت للإسلام في أنفسنا؛ حتى نتمكن في هذه الحياة الدنيا من خوض الصراع اليومي المتجدد أيضًا ضد القوى الأمّارة بالسوء في أنفسنا وفي البيئة المحيطة بنا عالميًّا، فالجهاد هو المنبع الذي لا ينقص والذي ينهل منه المسلم مستمدًّا الطاقة التي تؤهله لتحمّل مسئوليته، خاضعًا لإرادة عن وعي ويقين. إن الجهاد بمثابة التأهب اليقظ للأمة الإسلامية للدفاع بردع كافة القوى المعادية التي تقف في وجه تحقيق ما شرعه الإسلام من نظام اجتماعي إسلامي في ديار الإسلام**).

أما عن التزييف التاريخي فقد اتخذت مثالاً له: تصوير شارل مارتل بأنه منقذ للغرب!!(٢).

من أمثلة التاريخ المغرق في الخيال «شارل مارتل» منقذ الغرب:

وعن التاريخ المزوّر أخذت تشرح ما أطلقت عليه: «الخرافة المبجلة» المليئة بالافتتان التي مضى عليها أكثر من ألف عام، وتصور شارل مارتل (القائد العسكري) بأنه (منقذ الغرب النصراني).

---

(١) نفسه ص ٤٢.

(٢) نفسه ص ٤٠.

وبدأت بنقل نص في أحد كتب التاريخ الألماني المدرسية وهو: (كانت قارتنا يهددها خطر الوقوع تحت قبضة حكم استبدادي على أيدي الجحافل الهمجية، سود البشرة، واضعي سيوفهم قتلاً، واطئين بحوافر خيولهم كل كائن حي يعترض طريقهم) (١).

وتقرّر الدكتور هونكه أنه في عصر تلك المعركة لم يكن (الغرب النصراني) شيئًا مذكورًا على الإطلاق..

كما تقدّم دليلاً عكسيًّا؛ إذ إن التاريخ يثبت أن إسبانيا نعمت بحقبة مباركة في عصر حكم العرب الذي دام نحو ثمانية قرون، ولم تُستأصل النصرانية هناك!

ثم تحسم القضية بقولها: (إن شارل مارتل ذاك، الذي شاءت دعايات الحروب الصليبية فيما بعد أن تخلع عليه هالات التمجيد والتعظيم وأنه (بطل النصرانية)، **استولى على الممتلكات الكنسية من كنائس وأديرة وضياع وأوقاف! ونهب كنوزها لتمويل جيوشه وفرسانه الجدد ولتزويدهم بالعتاد والسلاح، ومنحهم الإقطاعيات؛ ولهذا استنزلت اللعنات على قبره**) (٢).

ثالثا: المرأة المسلمة:

خصصت المؤلفة الفصل الرابع من كتابها عن المزاعم الدخيلة للاستشراق عن ظلم الإسلام للمرأة.

وقد تتبعت بالرد على هذه المزاعم بإسهاب، ورغبة منا في الاختصار، سنقتصر على إيراد بعضها:

قررت أولاً أن القرآن الكريم بصفته الدستور الإلهي الذي ينص على التشريعات والحدود المنظمة لكافة المجالات الدينية والدنيوية الشخصية والعامة، إنما يؤكد أنه لا فرق بين الذكر والأنثى، لا في الجوهر ولا في التكريم، ويساوي بينهما مساواة

(١) نفسه ص ٤٨.

(٢) نفسه ص ٥٢.

تامة في كافة العبادات وأمور العقيدة، وفي الناحية الخلقية الإنسانية البحتة كما في الأمور المالية المادية والاجتماعية، بل إن أجر المرأة مساو لأجر الرجل.. (١).

والآيات القرآنية كثيرة؛ منها قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾ [النساء: ١٢٤]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].. ومن أحاديث الرسول ﷺ «إنما النساء شقائق الرجال» [رواه أبو داود وأحمد].

وقبل موته ﷺ أوصى بهن خيراً، كما أنه أوصى بالأمهات أكثر من وصيته للآباء. كما أن القرآن الكريم ألحّ على المسئولية الخاصة والعطف والرقّة والرعاية تجاه البنات الصغيرات خاصة، محرِّماً ما كان شائعاً في الجاهلية من وأد البنات(٢).

كذلك ردّت عليهم بما أشاعوه من اتهامات حول إباحة الإسلام تعدد الزوجات، ولم يتنبهوا إلى أن التعدد مشروط بالتأكيد على مسئولية الرجل في العدل بينهن، قال تعالى: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣].

---

(١) نفسه ص ٦١ عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية ﴿ألا يشركن بالله شيئاً﴾ وما مسّت يد رسول الله ﷺ يد امرأة لا يملكها قط، وكان رسول الله ﷺ إذا اقرن بذلك من قولهن يقول: «انطلقن فقد بايعتكن») [أخرجه الشيخان والترمذي]). صديق حسن خان، حُسنُ الأسوة بما ثبت عن الله ورسوله في النسوة، ص ٨٦، صححه زكريا علي يوسف -مطبعة الامتياز بدون تاريخ). ويبين هذا الكتاب بالآية والحديث مع تفسيرها كل ما للمرأة وما عليها وما تخالف فيه الرجل في الصلاة والزكاة والصوم والحج، وما يتعلق بتعليمها أو سفرها أو سفورها أو حجابها، والزواج والطلاق والعدة بأنواعها، والنفقة والميراث والرضاع، وفضائل أمهات المؤمنين وحكمة تعدد الزوجات عموماً، وتعدد زوجات الرسول ﷺ خصوصاً.. إلخ، ص ٢٤٨، ويقع الكتاب في ٢٤٨ صفحة من القطع الكبير، ومن النادرات في النساء المرأة التي كانت لا تتكلم إلا بالفاظ القرآن! الثعالبي (الاقتباس من القرآن الكريم) ج٢ ص ٧ دار الوفاء بالمنصورة ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

(٢) نفسه ص ٦٤.

كذلك فإن الشرع أباح للمرأة إمكانيتين: أن تشترط عليه شروطًا عند عقد النكاح عصمة لنفسها وضمانًا لحقوقها، كما نص على مهرها صداقها تأمينًا لمستقبلها(١).

ومن آرائها التي عبّرت عنها في أحد المؤتمرات الإسلامية التي وردت في شكل نصيحة للمرأة العربية، أنه لا ينبغي عليها أن تتخذ المرأة الأوروبية أو الأمريكية أو الروسية قدوة تحتذيها، أو تهتدي بفكر عقائدي مهما كان مصدره؛ لأن في ذلك تمكينًا للفكر الدخيل المؤدي إلى فقدها لمقومات شخصيتها، وإنما ينبغي عليها أن تستمسك بهدي الإسلام الأصيل، وأن تسلك سبيل السابقات من السلف الصالح(٢)، اللائي عشن منطلقات من قانون الفطرة التي فطرن عليها، وأن تضع نصب عينيها رسالتها الخطيرة المتمثلة في كونها أم جيل الغد العربي، الذي يجب أن ينشأ عصاميًا يعتمد على نفسه(٣)، ثم استغرقت في حديث طويل لتؤكد إخلاصها في نصيحتها، فضربت مثالاً للطابع المميز للتحدي **بموقف الفلسطينيات بأرض فلسطين المحتلة**، فبينما يعاني آلاف الرجال ذلّ السجون، كان عليهن أن يقمن وحدهن بأعباء الأسرة، وتربية الأطفال، وحماية أنفسهن وأسرهن من الفتك

(١) نفسه ٦٤ .

(٢) سجل التاريخ الإسلامي نموذجًا فذًا معبرًا عن جهاد المرأة المسلمة، فقد جاءت امرأة إلى أحد قادة المسلمين أيام الحرب مع الروم تحمل ورقة و(صُرّة)، وإذا بتلك الورقة: (بسم الله الرحمن الرحيم، من أمة الله المسلمة إلى أمير جيش المسلمين.. سلام الله عليك، أما بعد.. فإنك قد دعوتنا إلى الجهاد في سبيل الله ولا قوة لي على الجهاد ولا مقدرة بي على القتال، وهذه الصُرة فيها ضفيرتي قيدًا لفرسك، لعل الله يكتب لي شيئًا من ثواب المجاهدين!).

– علي عزت القاضي (الإيمان في المعركة) كتاب رقم ١٠١ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة سنة ١٩٦٩م.

– وعن أنس قال: (اتخذت أم سليم خنجرًا أيام حنين، فقال لها رسول الله ﷺ: «ما هذا يا أم سليم؟»، فقالت: اتخذته حتى إذا دنا مني أحد من المشركين بقرت بطنه، فجعل ﷺ يضحك...) كتاب: (حُسنُ الأسوة بما ثبت عن الله ورسوله في النسوة) ص ١٦٦، مصدر سابق، والحديث أخرجه مسلم وأبو داود. وفي معركة (أحد) قاتلت أم عمارة قتالاً شديدًا وضربت عمرو بن قماة بالسيف ضربات فوقته درعان كانت عليه، وضربها عمرو بالسيف فجرحها جرحًا شديدًا على عاتقها. ص٢١٩ من كتاب (الإسلام قبل المذاهب: عقيدة وشريعة، جماعة من نوابغ العلماء، تصحيح زكريا علي يوسف، مكتبة المتنبي– عابدين– بدون تاريخ).

(٣) نفسه ص ٧١ (حسن الأسوة).

الذريع واغتصاب الزبانية الوحشية السادر، وهكذا لم يكن دور الفلسطينيات جديداً فحسب، وإنما نشأن وشببن ليتولين أدوراً قيادية في المجتمع، وقد شاركن مشاركة إيجابية في حركة الانتفاضة، أو قل جهاد التحرير، على كل المستويات الممكنة، إن نساء فلسطين العربيات يكتبن بأنفسهن التاريخ اليوم، وهن اللائي يحملن مسئولية تقرير المصير في التحول الاجتماعي، فهنّ يرأسن المؤتمرات الشعبية وينظمن اللجان والهيئات التعاونية والإنتاجية، ويوفرن أماكن العمل والوظائف المختلفة ويشغلنها، وهن فدائيات مجاهدات شهيدات ينتهك الغاصب كرامتهن، ويزجّ بهن في السجون، ويمعن في تعذيبهن، ولا ريب أن الفلسطينيات سوف يسهمن في المستقبل إسهاماً خطيراً في تقرير مصيرهن بأنفسهن، ومصير فلسطين، وسوف تتحد حرية جميع الأرض المحتلة في ضوء تحقق المساواة وتحرير المرأة(١).

وفي النهاية يحسن أن نشير إلى جهود الدكتور عبد الرحمن بدوي في الرد على المستشرقين بكتابيه: (دفاع عن القرآن ضد منتقديه، سنة ١٩٨٩م)، (دفاع عن محمد ﷺ ضد المنتقصين من قدره، سنة ١٩٩٠م).

كذلك قام بترجمة السيرة النبوية لابن هشام التي أنفق عامين كاملين من العمل المتواصل لقطع ألسنة الأدعياء من الكتّاب الغربيين الذي يسيطر عليهم الحقد الدفين ضد الإسلام، وتتبع بالنقد لأولئك الباحثين العرب الذين أصبحوا خدماً للمخططات الاستشراقية، ومنهم محمد أركون الذي وصفه الدكتور بدوي بقوله: (وهل لأركون من رسالة سوى تشويه التراث الإسلامي والإساءة إلى نبيه ﷺ والطعن في قرآنه المجيد؟)(٢).

حاشية ضرورية:

ماتت الدكتورة هونكه قبل مشاهدة ما رأيناه بالتلفاز أثناء حرب طوفان الأقصى في ٧ أكتوبر عن دور الفلسطينيات المجاهدات أيضاً في التأييد المخلص

(١) نفسه ص ٧٢.

(٢) د/ محمد عمارة (مقدمة ودراسة كتاب دفاع عن القرآن ضد منتقديه) ص ١٣/١٤، كتاب (هدية) مجلة الأزهر شهر رجب سنة ١٤٣٦هـ.

للمقاومة، والقبول عن طيب خاطر مثير للإعجاب لقبول التضحيات الجسام من أجل انتصارها على العدو اليهودي الهمجي.. وكان من أعظمها شأنًا، مشهد الأم والأخت لأحد شهداء قادة المقاومة في لبنان حيث قالت: (نال الشهادة التي كان يتمنّاها) !! ولا تعليق.

ومن الحق أن نضيف أيضًا حرص علمائنا المعاصرين على بيان انحرافات المستشرقين، سواء في حديثهم عن القرآن الكريم أو عن الرسول ﷺ:

نذكر منهم:

- د/ جعفر شيخ إدريس: (نبذة محمد ﷺ في منهج وات)، وكتاب (كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية).
- ود/ عماد الدين خليل: (مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية).
- ود/ حمدي زقزوق: (الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري).
- ود/ محمد إبراهيم الفيومي: (الاستشراق: رسالة استعمار).
- ود/عبد العظيم محمود الديب: (المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي).

وغيرهم كثيرون، فجزاهم الله خيراً.

حاشية:

ومن أشهر مؤلفات زيغريد هونكه كتاب: (شمس العرب تسطع على الغرب)، والذي ذكرناه من قبل، وكتاب: (وأثر الحضارة العربية في أوروبا).

ومما قالته في المقدمة الخاصة بالطبعة العربية بالكتاب الأول:

(أقول بمرارة، فإن الناس عندنا لا يعرفون إلا القليل عن جهودكم الحضارية الخالدة ودورها في نمو حضارة الغرب. لهذا صممت على كتابة هذا المؤلف،

وأردت أن أكرم العربية وأن أتيح لمواطني فرصة العودة إلى تكريمها، كما أردت أن أقدم للعرب الشكر على فضلهم، الذي حرمهم من سماعه طويلاً تعصّب ديني أعمى أو جهل أحمق، وآمل مخلصة أن يحتلّ هذا الكتاب مكانة في العالم العربي أيضًا كسجل لماضي العرب العظيم وأثرهم المثمر على أوروبا والعالم قاطبة).

ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، ويقع الكتاب في ٥٧٦ صفحة من القطع الكبير ٢٠١٤م.

المصادر

١- د/ محمد عمارة (مقدمة لكتاب : دفاع عن القرآن ضد منتقديه) .

٢- د/ زيغريد هونكه (الله . . ليس كذلك) .

٣- عبد الله النعيم (الاستشراق في السيرة النبوية . . المقدمة)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة الرسائل الجامعية (٢١) ١٤١٧هـ .

٤- د/ سعيد عبد الفتاح عاشور، دراسة بعنوان : (دراسة التاريخ عند العرب وأثرها في المغرب الأوربي) .

٥- د/ عائشة عبد الرحمن، دراسة بعنوان : (تراثنا بين شرق وغرب) .

٦- د/ أحمد سعيد دمرداش (الرياضيات عند العرب : ينبوع الفكر الرياضي الحديث) .

٧- د/ شوقي ضيف (معجزات القرآن) .

٨- موريس بوكاي (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم : دراسة الكتب المقدسة في صفوة المعارف الحديثة) .

٩- تفسير السعدي .

١٠- فهمي هويدي (المقالات المحظورة) .

١١- طارق عبد الباقي منينة (أقطاب العلمانية في العالم العربي والإسلامي) .

١٢- د/ محمد البهي (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي) .

١٣- عبد السلام محمد هارون (تهذيب سيرة ابن هشام) .

١٤- د/ إبراهيم أحمد العدوي (سيرة رسول الإسلام ﷺ في التفسير التاريخي لآيات القرآن الكريم) .

١٥- دكتور مهندس محمد الحسيني إسماعيل (الدين والعلم وقصور الفكر البشري).

١٦- عبد العزيز بن راشد النجدي (أصول السيرة المحمدية).

١٧- د/مهندس محمد الحسيني إسماعيل (الحقيقة المطلقة.. الله والدين والإنسان).

١٨- د/محمد لطفي جمعة (ثورة الإسلام وبطل الأنبياء ﷺ).

١٩- الشاطبي (الموافقات في أصول الشريعة).

٢٠- جمهرة مقالات العلامة الشيخ أحمد شاكر، جمع عبد الرحمن العقيل.

٢١- محمد الغزالي (الحق المر).

٢٢- ماجد بن محمد الأسمري (العلمانية والنبوة: أبعاد التحريف العلماني لمقامات النبوة).

٢٣- مختصر تفسير القرآن العظيم جـ١ ص ٧٧، اختصار أحمد محمد شاكر.

٢٤- الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ.

٢٥- باتل شمتز (الإسلام قوة الغد العالمية)، ترجمة د/ محمد شامة.

٢٦- روجيه دوباسكويه (إظهار الإسلام).

٢٧- إبراهيم خليل أحمد (الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية).

٢٨- العبر وديوان المبتدأ والخبر، لابن خلدون.

٢٩- تفسير دوملو.

٣٠- د/ مراد هوفمان (الإسلام في الألفية الثالثة: ديانة في صعود).

٣١- الشيخ محمد الغزالي (سر تأخر العرب والمسلمين).

٣٢- مقال بعنوان: (البعد الديني في الحملة الأمريكية على أفغانستان).

٣٣- د/ مصطفى محمود (عظماء الدنيا وعظماء الآخرة).

٣٤- دوباسكويه (إظهار الإسلام).

٣٥ - د/ عبد الرحمن بدوي (دفاع عن محمد ضد المنتقصين من قدره).

٣٦- محمود شاكر (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا).

٣٧- عبد الله محمد الأمين النعيم (الاستشراق في السيرة النبوية).

٣٨- الإنسان ذلك المجهول، ألكسيس كارليل.

٣٩- رسالة الأخلاق، ابن حزم.

٤٠- الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد.

٤١- الرسالة المحمدية، سليمان الندوي.

٤٢- الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، المقداد يالجن.

٤٣- شخصية المسلم، د. عبد الحليم محمود.

٤٤- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية.

٤٥- أمراض القلوب وشفاؤها، ابن تيمية.

٤٦- التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم.

٤٧- مختصر منهاج القاصدين، المقدسي.

٤٨- الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا.

٤٩- ابن تيمية (منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية).

٥٠- أبو عبد الله السيد محمد بن إبراهيم الوزير (الروض الباسم في الذَّبِّ عن سنة أبي القاسم ﷺ).

٥١- د/ طه حسين (مرآة الإسلام).

٥٢- الحافظ ابن حجر العسقلاني (فتح الباري بشرح البخاري) .

٥٣- أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (معاني القرآن) .

٥٤- د/ عبد الرحمن أحمد سالم (الرسول ﷺ : حياته وتطور الدعوة الإسلامية في عصره) .

٥٥- ابن القيم (زاد المعاد في هدي خير العباد ﷺ) .

٥٦- الشيخ محمد الخضري (نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ﷺ) .

٥٧- د/ أحمد عطية (التحديات الفكرية في ضوء النبوة) .

٥٨- محيي الدين الخطيب (منهج الثقافة الإسلامية) .

٥٩- أرنولد توينبي، موجز تاريخ العالم .

٦٠- القاضي عياض (الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ) .

٦١- الإمام المطَّلبي محمد بن إدريس الشافعي (الرسالة) .

٦٢- د/ محمد علي سلام مدكور (الإسلام وأثره في الثقافة العالمية) .

٦٣- د/ محمد رجب البيومي (النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين) .

٦٤- تفسير القرآن الحكيم، الشهير بتفسير (المنار)، للأستاذ الإمام محمد عبده .

٦٥- محمد جلال كشك (الغزو الفكري) .

٦٦- مولانا محمد علي (حياة محمد ﷺ ورسالته) .

٦٧- د/ علي حسني الخربوطلي (الحضارة الإسلامية) .

٦٨- محمد محمود الصواف (عدة المسلمين في معاني الفاتحة وقصار السور من كتاب رب العالمين) .

٦٩- نور الدين فريد شوقي المصري (تحمّل المسئولية) .

٧٠- الإمام أبو الحسن الندوي (النبوة والأنبياء في ضوء القرآن) .

٧١– (كتاب دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة)، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي .

٧٢– د/ شوقي ضيف (معجزات القرآن) .

٧٣– عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) (الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق : دراسة قرآنية لغوية وبيانية) .

٧٤– مقدمة ابن خلدون، جـ ١ .

٧٥– كارل أرمستروغ (سيرة الإسلام) .

٧٦– مختصر ابن كثير، جـ ٣ .

٧٧– د/ محمد حسين هيكل (مذكرات في السياسة المصرية) .

٧٨– د/ حسان عبد الله حسان، مقال بعنوان : (القدوة والاهتداء في القرآن الكريم) .

٧٩– أسامة محمد عبد العظيم حمزة (فضائل الصلاة على النبي ﷺ) .

٨٠– فاروق جويدة، مقال بعنوان : (اختراق عقول الشباب العربي) .

٨١– د/ حلمي عبد المنعم صابر (واجبات الأمة بحق كاشف الغمة ﷺ) .

٨٢– أنور الجندي (عبد العزيز جاويش . . من رواد التربية والصحافة والاجتماع) .

٨٣– د/ ريموند بيكر (إسلام بلا خوف : مصر والإسلاميون الجدد) .

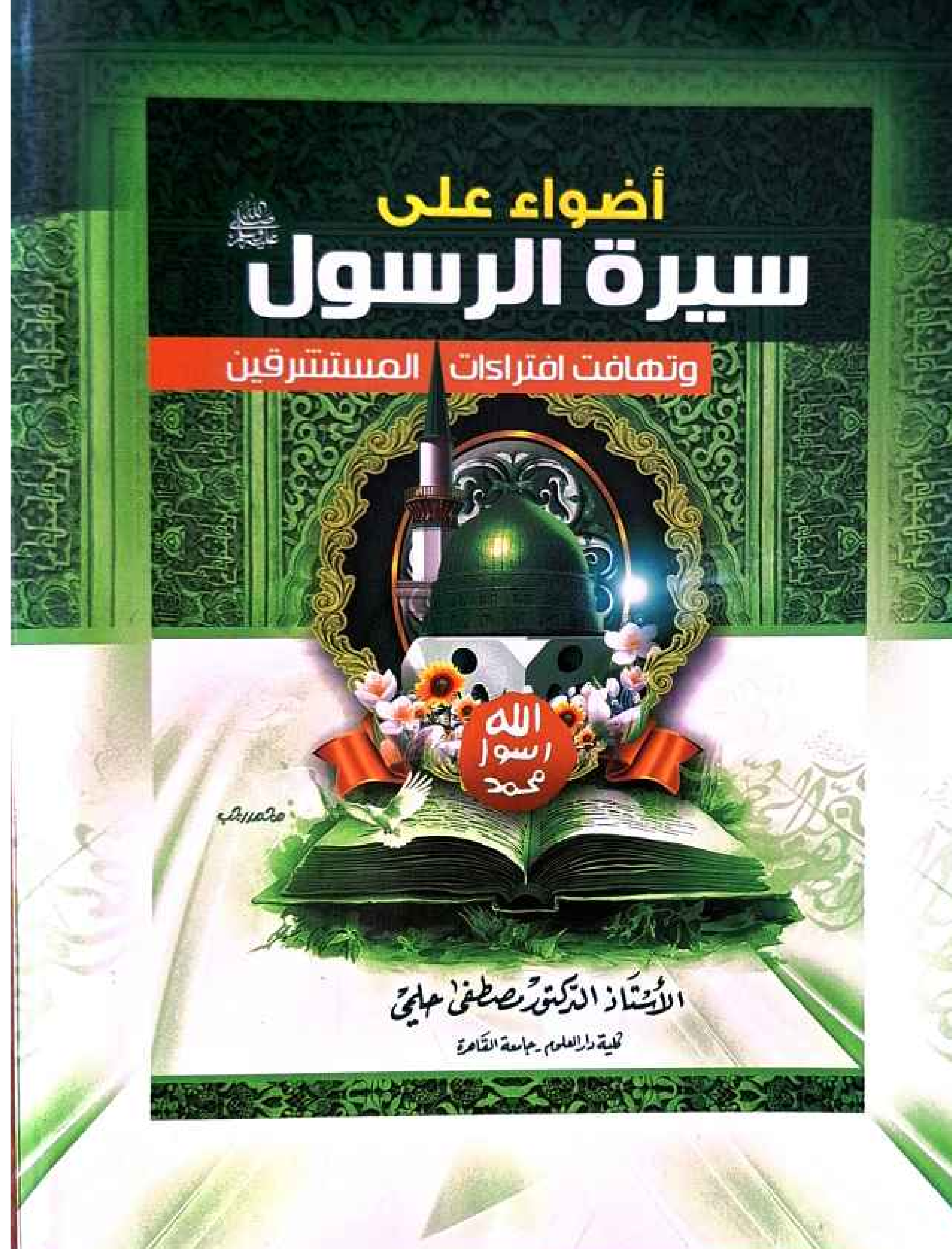
٨٤– القاضي عياض اليحصبي (الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ) .

٨٥– صديق حسن خان (حُسْنُ الأسوة بما ثبت عن الله ورسوله في النسوة) .

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
الباب الأول: أضواء على سيرة الرسول ﷺ	
– تمهيد: ما يتميز به الأنبياء عليهم السلام من سائر البشر..........	١٩
– معجزة الرسول ﷺ: القرآن الكريم..........................	٢١
– الطبيب الفرنسي بوكاي يبطل أكاذيب المستشرقين..............	٢٢
– إعجاز القرآن عند الدكتور طه حسين........	٢٣
– بعض المعجزات الحسيّة للرسول ﷺ..........................	٢٨
– دور الأنبياء عليهم السلام في هداية بني البشر	٣١
– حالة العصر قبل نبوته ﷺ................................	٣٥
– الخصال التي أُعطيها النبي ﷺ واختُص بها وحده عن سائر الأنبياء عليهم السلام..	٤١
– أداؤه الرسالة وصبره على الإيذاء وجهاده ﷺ..................	٥١
– في هديه ﷺ في الجهاد والمغازي والسرايا والبعوث..............	٥٥
– رسول الله ﷺ هو الأسوة الكاملة............................	٦٧
الباب الثاني: تهافت افتراءات المستشرقين	
– الرد على افتراءات المستشرقين.............................	٩٢
– المبحث الثاني..	٩٦
– تصويب أباطيل تلاميذ المستشرقين...........................	١٠٧

- صلة تحيّز الفكر الأوروبي بانحراف المستشرقين.................. ١٢١
- حاشية: المستشرقون ونهب التراث الإسلامي.................. ١٣٥
- الدكتورة زيغريد هونكه تتصدى للمستشرقين وتشهد شهادة حق.................. ١٣٩
- الفهرس.................. ١٥٩



أضواء على
سيرة الرسول ﷺ
وتهافت افتراءات المستشرقين
الله
رسول
محمد
الأستاذ الدكتور مصطفى حلمي
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة